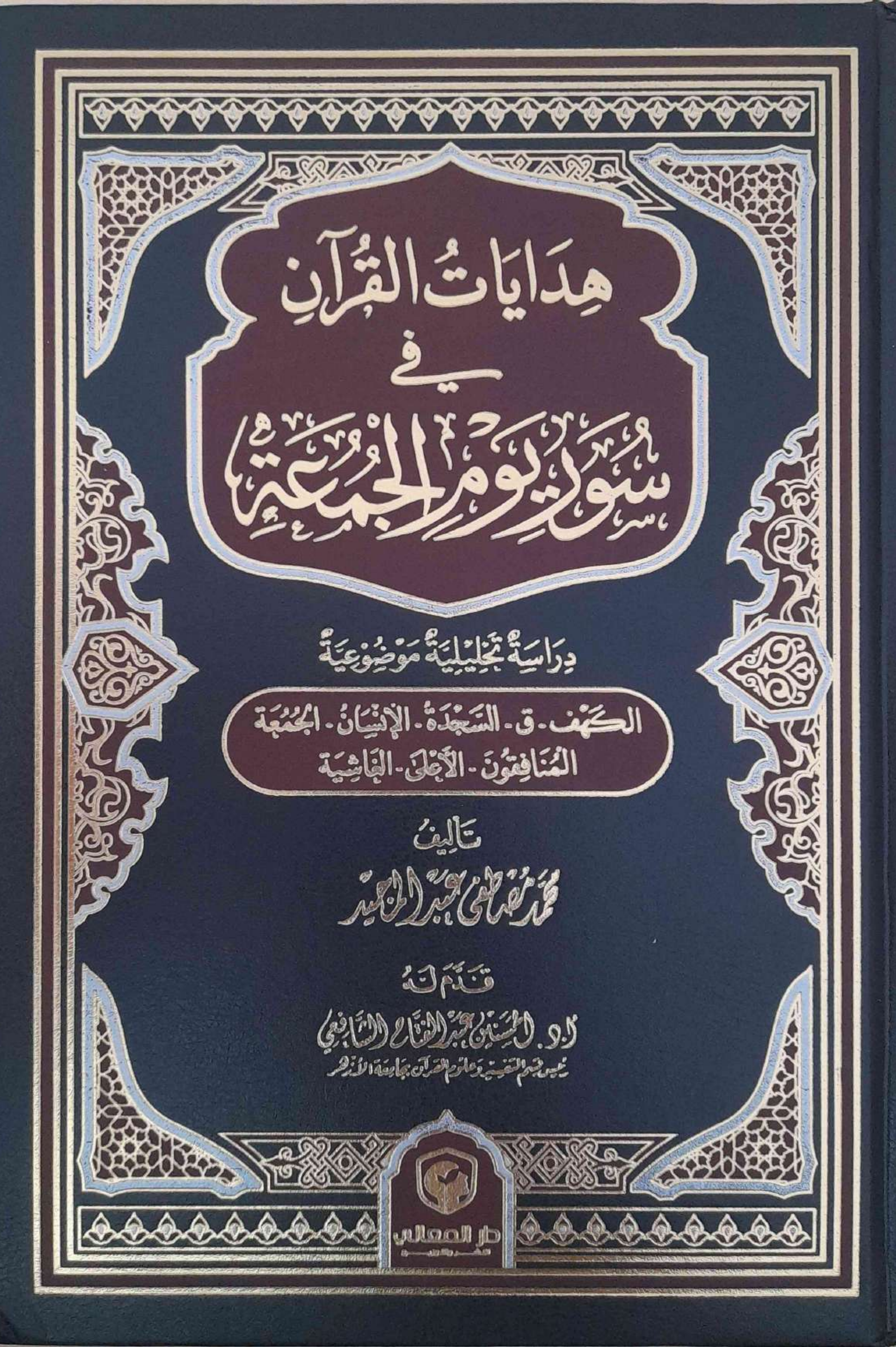

هِدايَاتُ القُرآنِ
فِي
سُوَرِ يَومِ الجُمُعَةِ
دِراسَةٌ تَحليلِيَّةٌ مَوضُوعِيَّةٌ
الكَهف - ق - السَّجدة - الإنسَان - الجُمُعَة
المُنافِقون - الأعلَى - الغَاشِيَة
تأليف
محمد مصطفى عبد المجيد
قَدَّمَ لَهُ
أ.د. الحسيني عبد الفتاح الشافعي
عميد قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر
دار المعالي

هِدَايَاتُ القُرآنِ فِي سُوَرِ يَوْمِ الجُمُعَةِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

الكَهْف - ق - السَّجْدَةُ - الإنْسَانُ - الجُمُعَة

المُنَافِقُونَ - الأَعْلَى - الغَاشِيَة

تأليف

محمد مصطفى عبد المجيد

قدم له

أ.د. الحسنين عبد الفتاح الشافعي

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور
الحسنين عبد الفتاح عبد الرحمن الشافعيّ

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وأشهد ألا الله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمدًا عبد الله ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وارضَ الله عن الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن الناس يتفاوتون في اهتماماتهم وتوجُّهاتهم، كما يختلفون في مداركهم وعقولهم، ذلك بأن الله تعالى قسَّم بين الخلق أرزاقهم، وأخلاقهم، وعقولهم، ومِن فضل الله على الإنسان إنعامه عليه بصرفه عن الاشتغال باللهو الفارغ، والقول الباطل، وأن يوفِّقه لشغل وقته في تدبر القرآن والسنة، سئل عليٌّ ﷺ: «هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء؟»، قال: «لا، والذي برأ النسمة وفلق الحبة، ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء إلا فهمًا أوتيه رجل في كتاب الله تعالى».

وقد لاحظتُ أن المسلمين مِن أول عهدهم يتلقون دين الله وشرعه بالامتثال والانقياد، بالسمع والطاعة، فلا يشتغلون بتلمُّس الحِكَم التي وراء الأحكام والتشريعات، وفي العصر الحديث ومع تطور العلوم كُشِفَتْ بعض هذه الأسرار، وكان لبعضها أثرٌ في زيادة ثقة

المسلمين بدينهم.

ولذلك كان على المسلم الشغوف بالعلم والمشتغل بالدعـوة أن يصرف بعضَ وقتـه وجهده إلى تلمُّس الحكم التشريعية، ويغوص بفكره وعقله في النصوص ليكشف بعض أسرارها، وهـو في هذا مستمد التوفيق والسـداد من الله، آخـذًا بالأسباب مـن الطلـب الصحيح للعلم، والعمل الصالح الخالص، كما قال سـبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالعلم هو ثمرة التقوى والإخلاص، ولا ينال هذا العلم مَن كان في قلبه بدعة أو كِبر أو حب للدنيا أو ميل إلى المعاصي، كما قال تعـالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وهذا البحثُ الطيبُ الشريف -طيبٌ في بابه لطِيب المبحوث فيه، وشرف المقصـود منه- مِن هذا القبيل؛ فهو خطوة مباركة في تلمُّس الحكم والأسباب، وغوصَ في دقـائق بعض نصوص السنة النبوية المباركة وأسرارها، حيث جمع بين فضيلتين: التأمل في السنة النبوية المباركة لأجل التدبر في كتاب الله ﷻ، ومعرفة سر تخصيص النبي ﷺ لقراءة سـور بعينها في يوم الجمعة، وجمعه بين السورتين من سورها كذلك، كتخصيصه قراءة سـورة الكهف، والصلاة بسور الجمعة والمنافقون والأعلى والغاشية، وكجمعه ﷺ بين السـجدة والإنسان في فجر الجمعة.

فالبحث في هذه المطالب فوق أنه تعظيم وثقة وإيمان بحكمة الرسول ﷺ في اختياراتـه، فهو كذلك حرص على تفهم المسلمين لدقائق دينهم وحبهم لهم والتزامهم به وتعظـيمهم لكل تفاصيله ودقائقه، وجهد طيب في الدعوة إلى هذا الدين على بينة وبصيرة.

وإنَّ كلَّ بحث علمي تظهر أهميته مِن وجهين:

الأول: موضوعه.

والثاني: قدرات الباحث على الوفاء بمطالبه وتحقيق أهدافه.

وقد حظي هذا البحث بالأمرين على السواء:

أما الموضوع: فقد كان مشايخنا وأساتذتنا لا يقبلون من طلابهم سؤالهم إياهم عن موضوع للبحث، يسجِّلونه لمرحلة الماجستير أو الدكتوراه، وكانوا يرون هذا إفلاسًا من طلابهم، وقد نشأتُ على هذا، وكنت أراهم على حقٍّ في هذا في معظم الأحوال.. وقد لقيت باحثنا بعد نزولي من المملكة العربية السعودية، وعرض عليَّ موضوعَه هذا، ووجدتُ عنده ثروة من أفكار لموضوعات متعددة، فلقي استحساني، ووقع قبولُه في نفسي.

وهذا الموضوع من أمتع الموضوعات التي عرضها عليَّ؛ لا سيما مع توجهي الشديد لعلم المناسبات والتفسير الموضوعي للسور.

وأما الباحث: فقد ألفته محبًّا للعلم الشرعي، لاسيما التفسير ورجاله.

وفوق هذا: فقد وجدته شابًّا ملتزمًا، مهذب الخلق، صالحًا، ولا نزكِّيه على الله، ينبئك عن هذا كله: سمتُه، وحسنُ منطقه، وأدبُه الجم.

وقد أجاد مرات لا مرة واحدة: أجاد حيث شغل نفسه بقضايا دينه وسط هذا الركام الشديد من الماديات وضعف الالتزام، وحيث اختار هذا المجال الذي صار عند كثيرين عملًا روتينيًّا، ووظيفة دنيوية، لا رسالة مقدسة، وهدفًا نبيلًا، ومقصدًا شريفًا، وحيث اقتطع من وقته وجهده وماله حبًّا وكرامة لأجل دينه وعقيدته وهدفه النبيل.

ومن أجل هذا كله فقد كان إشرافي على موضوعه هذا مدفوعًا بكل هذا، مع ثقتي في أمانته في النقل، وحسن فهمه، وقدرته على التعبير عن المراد.

وباحثٌ هذه صفته جديرٌ أن يخرج عملًا جيدًا، يفيد الأمة، ويكون إضافة للمكتبة الإسلامية.

أسأل الله لنا وله التوفيق والسداد، كما أسأله أن يكون هذا العمل بداية مباركة لأعمال كثيرة، تفخر بها المكتبة الإسلامية، ويستفيد بها عالمنا الإسلامي، والله المستعان، وبه الهداية والتوفيق.

أ.د. الحسنين عبد الفتاح عبد الرحمن الشافعي

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أنزل الله ﷻ كتابَه موعظةً للناس، وشفاءً لما في الصدور، وهدًى ورحمةً للمؤمنين، وكان هذا الكتابُ العظيمُ هو المرتكز الرئيس للنبيِّ محمدٍ ﷺ في صناعة جيلٍ فريدٍ جديرٍ بحمل رسالات الله ﷻ إلى الدنيا جمعاء.

وبعد أن أضاءت الدنيا بمعجزةِ القرآن أشرقت عليها معجزةٌ أخرى متمثِّلة في هذا الجيل الذي تربَّى في محراب القرآن، ثم خرج يغيِّر العالم، ويشكِّل نقطةَ تحوُّلٍ ومحطةً فاصلةً في التاريخ الإنساني.

ومِن ملامح تلك التربية القرآنية التي تلقَّاها هذا الجيل: أن النبيَّ ﷺ كان يخصُّ بعض سور القرآن الكريم وآياته بالتكرار في بعض الأحوال؛ فيقرأُ بعضَها على صحابته في مجامعهم، وبعضها في صلاته بهم، وبعضها شرع تكراره لأمته، مقيدًا ذلك بأوقاتٍ أو أحوالٍ خاصة في بعض الأحيان، ومطلِقًا لذلك في أحيانٍ أخرى.

ومَن نظر إلى القرآن الكريم مِن زاوية تأثيره في بناء الفرد وتشكيل الوعي وتغيير الأمة؛ لَزِمه أن يقف مع ما في هذه السور من رسالات وهدايات استحقَّت مِن أجلها أن يُشرَع تكرارُها مرةً بعد مرةٍ، خاصة ما شُرِع تكراره بصورة دورية: أسبوعية أو سنوية، وما شُرِع تكرارُه في مجامع المسلمين العامة.

موضوع الدراسة:

لما كان سبيل إصلاح الفرد والمجتمع والعودة إلى سالف العزِّ والمجد هو سلوك سبيل القرآن الذي جعل الله ﷻ للأمة فيه ذكرَها كما قال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] =رغبتُ في دراسة بعض هذه السور، واستنباط الرسالات الكبرى

والهدايات الجامعة التي وردت فيها، وتسليط الضوء على الموضوعات الكلية التي تناولتها.

وقد وقع الاختيار على السُّوَر التي كان النبي ﷺ يخصُّ بها يومَ الجمعة: ما كان يقرؤه منها في صلاة الجمعة مع اجتماع المسلمين، وما كان يكرِّره على منبره في الخطبة، وما خصَّ به بعضَ الصلوات في هذا اليوم من السور، وما أوصى بقراءته كلَّ جمعة.

وإن الوقوف على هذه الهدايات وكيفية تناولها من الأهمية بمكان لكلِّ مهتمٍّ بقضايا الوعي وتغيير الأفراد وإصلاح المجتمعات على ضوءٍ من الوحي الشريف.

أهداف الدراسة:

١) الوقوف على الهدايات الجامعة التي تعرضت لها سور الجمعة، وكيفية تناولها، وبيان أثر التكرار الأسبوعي الذي شرعه النبي ﷺ في تشكيل وعي الفرد والمجتمع.

٢) فتح أفق جديد للباحثين في الدراسات القرآنية لتناول سائر الآيات والسور التي خُصَّت بفضل أو تكرار؛ للوقوف على قضاياها وهداياتها، وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، وكذا للباحثين في علم الاجتماع في دراسة أثر هذه القضايا وترسيخها في بناء المجتمعات وتغييرها.

أهمية الدراسة:

١) لا أعلمُ دراسةً مستقلةً اعتنت بهذا الموضوع، اللهمَّ إلا ما تناثر في بطون كتب التفسير المختلفة.

٢) دراسة هذه الهدايات له أهمية عند الدعاة والمصلحين في معرفة أولويات الخطاب الدعوي والإصلاحي، والقضايا الكُليَّة التي يجب العناية بها وتقديمها على غيرها.

٣) تُسهم هذه الدراسة في التأصيل لمنهج التربية القرآنية من خلال أنموذجٍ نبويٍّ تطبيقيٍّ للتربية بالقرآن الكريم.

٤) لا تقتصر الدراسة على التعرُّض للقضايا الكبرى والهدايات الجامعة؛ بل تتعرض لطرق معالجتها في السور المختلفة، مما يُعَدُّ بذرةً لاستنباط منهج البشارة والنذارة بالوحي بصورة شاملة.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على بحث هدايات القرآن الجامعة في سور الجمعة، مِن خلال دراستها دراسة موضوعية كلِّ سورةٍ على حدة، واستنباطِ رسائلها وقضاياها الكلية، والنظر في المناسبة بين هذه السور إن وُجدت.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهجين التحليلي والتوثيقي:

- **المنهج التحليلي**[١]: تفسيرًا واستنباطًا؛ حيث تبدأ بتفكيك النص، ثم الاستنباط للوصول إلى الهدايات الجامعة في كل سورة، ثم النظر الموضوعي في هذه الهدايات في سور الجمعة عامة.

- **المنهج التوثيقي**[٢]: باستقراء ما كتبه أئمةُ التفسير وغيرهم -ممن تيسَّر الوقوفُ على ما كتب- حول هذه السور بما يخدم موضوع الدراسة، وإعادة تركيبها تركيبًا

(١) **المنهج التحليلي**: منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا، ويحتوي على ثلاث عمليات: التفسير (أو التفكيك)، والنقد (أو التقويم)، والاستنباط (أو التركيب)، وقد تنفرد إحداها ببناء البحث. [مختصرًا من «أبجديات البحث في العلوم الشرعية»-د. فريد الأنصاري -ص٩٧-٩٨].
ويعتمد البحثُ عمليتي التفسير والاستنباط من المنهج التحليلي.

(٢) **المنهج التوثيقي**: طريقة بحث تهدف إلى تقديم حقائق التراث جمعًا أو تحقيقًا أو تأريخًا. [« أبجديات البحث في العلوم الشرعية »-د. فريد الأنصاري -ص٧٥].
والاستفادة من هذا المنهج في البحث سيكون في إطار: الجمع ثم التركيب المتناسب مع أهداف الرسالة، حيث تعتمد بصورة رئيسية على المنهج التحليلي.

علميًّا متناسقًا؛ للبناء على ما قدَّموه وسبقوا به.

الدراسات السابقة:

لا توجد -في حدود علمي القاصر- دراسة مستقلة سابقة في سور الجمعة والهدايات التي تناولتها، إلا ما كُتب عامة في التفسير الموضوعي تأصيلًا وتطبيقًا[1].

خطة الدراسة:

تتكون الدراسة بعد المقدمة من: بابين، وخاتمة.

المقدمة:

ذكرتُ فيها: موضوع الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجها، والدراسات السابقة.

الباب الأول: يوم الجمعة.. فضائله وخصائصه:

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: فضائل يوم الجمعة.

الفصل الثاني: السور التي خُصَّ بها يوم الجمعة.

---

(١) **ممَّا كُتب في الجانب التأصيلي:**

١. المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم -أ.د. عبد الستار فتح الله سعيد.

٢. دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم -أ.د. زاهر بن عواض الألمعي.

٣. مباحث في التفسير الموضوعي -أ.د. مصطفى مسلم.

٤. التفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل -أ.د. زيد بن عمر عبد الله.

ومن الكتب التطبيقية:

١. موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم -بإشراف: أ.د. مصطفى مسلم.

٢. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم -د. محمد الغزالي.

- **وكذلك كتب التفسير التي تعتني بذكرمقاصد السور والروابط والسياق، ومنها:** تفسير الرازي، والبقاعي، والآلوسي، وابن عاشور.

ويحتوي هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: **السور التي ثبت تخصيص يوم الجمعة بها.**

المبحث الثاني: **السور التي ورد تخصيص يوم الجمعة بها بروايات ضعيفة.**

الباب الثاني: دراسة موضوعية لسور الجمعة:

ويحتوي على ثمانية فصول، يختصُّ كلُّ فصلٍ منها بسورة من سور يوم الجمعة.

ورُوعي فيه تقديم السورتين اللتين لم يرد اقترانهما بغيرهما، وهما سورتا الكهف وق، ثم السور التي وردت مقترنة بغيرها سواء في صلاة فجر الجمعة أو في صلاة الجمعة:

الفصل الأول: **سورة الكهف.**

الفصل الثاني: **سورة ق.**

الفصل الثالث: **سورة السجدة.**

الفصل الرابع: **سورة الإنسان.**

الفصل الخامس: **سورة الجمعة.**

الفصل السادس: **سورة المنافقون.**

الفصل السابع: **سورة الأعلى.**

الفصل الثامن: **سورة الغاشية.**

ويحتوي كل فصل على مبحثين رئيسيين:

التعريف بالسورة: ويشمل ذكر أسماء السورة، ووجه تسميتها بها، وفضائلها، وعدد آياتها، وزمن نزولها، وسبب النزول إن وُجد، ومحور السورة.

قراءة موضوعية للسورة: تُصدَّر بقراءة إجمالية للسورة، ثم قراءة موضوعية لمقاطع السورة تستعرض أبرز هداياتها، مع ربطها بالمحور العام للسورة.

ولما كانت قراءة بعض هذه السور تأتي مقترنة؛ فقد أفرد مبحث في **الفصل الرابع** في مناسبة الجمع بين سورتي السجدة والإنسان، ومبحث في **الفصل السادس** في مناسبة الجمع بين سورتي الجمعة والمنافقون، ومبحثان في **الفصل الثامن**؛ **أحدهما** في مناسبة الجمع بين سورتي الأعلى والغاشية، **ومبحث** في المشابهة بين سورتي الجمعة والأعلى؛ لورود الجمع بين كل منهما منفردةً مع سورة الغاشية.

الخاتمة: وفيها خلاصة نتائج البحث.

الفهارس: وتشتمل على:

١) فهرس الأحاديث.

٢) فهرس تراجم الأعلام المترجم لهم.

٣) فهرس المصادر والمراجع.

٤) فهرس الموضوعات.

وقد تمَّ استثناء فهرس الآيات؛ لكثرتها في البحث، واعتماده في الأساس على دراستها.

وختامًا؛ فلا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لفضيلة الدكتور الحسنين عبد الفتاح الشافعي لتولِّيه الإشراف على الرسالة، وقد كان هذا الأمر من حُسن توفيق الله ﷻ لي؛ فقد استفدتُ منه كثيرًا في موضوع البحث وفي غيره من المباحث العلمية، كما تعلَّمتُ من سمته وأدبه وتواضعه ما يعجزُ القلمُ عن وصفه.

وقد كنتُ أدوِّنُ ما استفدتُه منه خارج نطاق البحث، وهو كثيرٌ، والدكتور الحسنين -حفظه الله- حريص دومًا على ألا يكون البحثُ العلميُّ أسيرَ الأوراق والخُطط الجافة دون أن يكون له أثر في الحياة.

وأذكرُ من ذلك مشهدًا ضمن مشاهد عدة؛ ففي أحد مباحث هذا الكتاب التي لم أقف على مَن تكلَّم فيها مِن قبل كنتُ أراجع فضيلته فيما أقف عليه، وذكرتُ له ما أجد من صعوبةٍ، متحدثًا بلسان الطالب في إطار البحث العلمي، ففجأني بسؤاله: هل صليتَ بهذه الآيات في الليل؟ ثم نصحني أن أقرأ ما صعُب عليَّ في الليل، متدبرًا إياه، سائلًا الله ﷻ أن يفتح عليَّ، فجزاه الله عني خيرًا كثيرًا.

كما أتقدَّم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو هاشم النوريّ، الذي تفضَّل بمناقشة الرسالة، وبعد أن ذكر ملاحظاته في مناقشة الرسالة أعطاني نسخته الورقية من الرسالة، مخبرًا إياي أنه قرأها مرتين من أولها إلى آخرها، وأنه كتب لي نصائح وملاحظات وإضافات في عدد من المواضع لم يطرحها أثناء المناقشة، بعضها ملاحظات علمية، وكثيرٌ منها لتناسب النشر ولينتفع بها عموم القراء، وقد انتفعتُ بنصائحه النافعة وإحالاته القيِّمة وتوجيهاته النفيسة، فجزاه الله خيرًا على ما أحسن به.

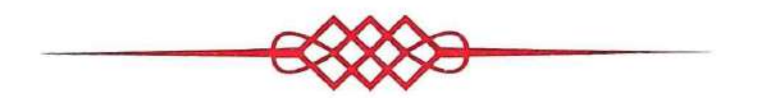
واللهَ أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي الخطأ والزلل؛ إنَّه غفور رحيم، جوادٌ كريم، والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى الموفق





يوم الجمعة فضائله وخصائصه



الفصل الأول: فضائل يوم الجمعة.

الفصل الثاني: السور التي خُصَّ بها يوم الجمعة.

الفصل الأول



فضائل يوم الجمعة





الفصل الأول:



فضائل يوم الجمعة

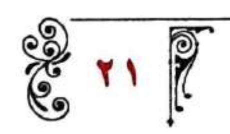
إنَّ الخالق ﷻ يستأثر بتفضيلِ مَن شاء مِن خلقه على مَن شاء، وتخصيصِ ما شاء منهم بخصائص دون غيره مِن بني جنسه، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: ٦٨].

ففضَّل اللهُ ﷻ بعضَ بني آدم على بعضٍ، كما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٢١]، وفضَّل مِن بني آدم أنبياءَه ورسلَه، ومِن الأنبياء والرسل فضَّل بعضهم على بعض، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[الإسراء: ٥٥].

ومظاهرُ التفضيل بين الخلق كثيرة متعدِّدةٌ لا تقتصر على التفضيل بين بني آدم؛ فلقد فضَّل الله ﷻ جبريلَ عليه السلام على سائر الملائكة، ومكةَ على سائر البلدان، وشهرَ رمضانَ على سائر الشهور، وبعض الليالي -كليلة القدر- على سائر ليالي العام، وبعض الأيام -كيوم عرفة- على سائر أيام العام، بل في الليلة الواحدة فضَّل آخرها على سائرها، إلى آخر ذلك من مظاهر التفضيل والتخصيص والتشريف.

ومِن هذا التفضيل: ما خصَّ اللهُ ﷻ به يوم الجمعة مِن فضائل وخصائص تميَّز بها عن غيره من أيام الأسبوع؛ بتقديره ﷻ وقوعَ عددٍ من الأحداث الكبرى في هذا اليوم الشريف، وتخصيصِه ببعض العبادات والأعمال دون غيره، إلى أمور أخرى متعددة من مظاهر التفضيل، والتي سنقف على طرفٍ منها في هذا الفصل مِن خلال عدد من المحاور:

١) يوم الجمعة أفضل الأيام.



٢) يوم الجمعة عيد الأسبوع.

٣) ما يتعلق بيوم الجمعة مِن أحداث كبرى في تاريخ البشرية.

٤) يوم الجمعة هو اليوم الذي تقوم فيه الساعة.

٥) يوم الجمعة هو يوم المزيد لأهل الجنة.

٦) اختصاصه بصلاة الجمعة وخطبتها.

٧) ساعة إجابة الدعوات في يوم الجمعة.

٨) النهي عن إفراده بالصيام.

٩) خصوصية يوم الجمعة وليلته بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

١٠) تخصيص يوم الجمعة ببعض سور القرآن الكريم.

أما المحور العاشر فقد أُفرد له فصل مستقل؛ لكونه عمادًا رئيسًا في موضوع الدراسة.

١) يوم الجمعة أفضل الأيام

وردت أدلةٌ متعدِّدةٌ على تفضيل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، فمن ذلك:

أ. وَصْف النبي ﷺ يوم الجمعة بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَـوْمُ الجُمُعَةِ...**»[1].

ب. وصفه بأنه سيد الأيام وأعظمها عند الله عز وجل:

فعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّـامِ،**

(١) رواه مسلم (٨٥٤) كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة.

وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ...»[(١)].

ج. وصفه بأنه من أفضل أيامكم:

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..**»[(٢)].

د. ذكر أن هداية الأمة ليوم الجمعة مِن فضل اللَّه العظيم عليها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[(٣)]، **وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ -قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ- فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**»[(٤)].

وتفسره الرواية الأخرى عند مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ...**» الحديث[(٥)].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٨٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، وأحمد (١٥٥٤٨) (٣/ ٤٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٩).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي (١٣٧٤) كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن ماجه (١٠٨٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٣) **قال ابن حجر** رحمه الله: (أي الآخرون زمانًا الأولون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة؛ بأنهم أول من يُحشر، وأول من يُحاسب، وأول من يُقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة). [فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٥٤)].

(٤) رواه البخاري (٨٧٦) كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة، باب هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة.

(٥) رواه مسلم (٨٥٦) كتاب الجمعة، باب هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة.

٢) يوم الجمعة عيد الأسبوع

جعل الله ﷻ يوم الجمعة عيدًا للمسلمين، وقد دلت على ذلك أدلةٌ منها: ما رواه أنس ابن **مالك** رضي الله عنه قال: عُرضت الجمعة على رسول الله ﷺ، جاء جبريلُ في كفه كالمرآة البيضاء، في وسطها كالنكتة السوداء، فقال: «**مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟**» قَالَ: «**هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ**»[(١)].

وقد عدَّ بعضُ أهل العلم كونَ يوم الجمعة عيدًا علةً للنهي عن إفراده بالصيام، وسيأتي الكلام على ذلك في المحور الثامن المتعلِّق بتخصيصه بالنهي عن إفراده بالصوم.

٣) ما يتعلَّق بيوم الجمعة من أحداث كبرى في تاريخ البشرية

ففي يوم الجمعة خُلق آدم عليه السلام، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أُخرج منها، وفيه تاب الله عليه، وفيه أُهبِط إلى لأرض، وفيه مات عليه السلام، وقد صحَّ ذلك عن النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عن يوم الجمعة: «**فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا...**»[(٢)].

وفي رواية أبي داود: «**... فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ**»[(٣)].

٤) يوم الجمعة هو اليوم الذي تقوم فيه الساعة

من خصائص يوم الجمعة ما صح عن النبي ﷺ أن الساعةَ تقوم فيه، وقد ذكر النبي ﷺ ما يتعلَّق بذلك مِن شفقة الملائكة والدواب والسماء والأرض والرياح والجبال والبحر

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٨٤)، وجوَّد المنذريُّ إسناده في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٩٦): حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٨٥٤) كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة.

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٦) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والترمذي (٤٩١) كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة، والنسائي (١٤٢٩) كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٤).

من هذا اليوم خوفًا من قيام الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «...وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»[1].

وفي رواية أبي داود: «... وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ[2] يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ..» الحديث[3].

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ في يوم الجمعة: «... وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»[4].

٥) يوم الجمعة هو يوم المزيد لأهل الجنة

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث عرض جبريل الجمعة على النبي ﷺ، قال جبريل عليه السلام عن يوم الجمعة: «... وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ، فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَحَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوَاهِرِ، وَجَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَجَاءَ أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ غُرَفِهِمْ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ، وَهُوَ كَثِيبٌ أَبْيَضُ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحَلُّ

---

(١) رواه مسلم (٨٥٤) كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة.

(٢) **مسيخة**: أي مصغية مستمعة، ويروى بالصاد، وهو الأصل. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٢/ ٤٣٣)].

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٦) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والترمذي (٤٩١) كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة، والنسائي (١٤٢٩) كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٤).

(٤) رواه ابن ماجه (١٠٨٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، وأحمد (١٥٥٤٨) (٣/ ٤٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٩).

كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَهِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا، مُتَدَلِّيَةٌ، فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَشْوَقَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ وَكَرَامَتِهِ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ[(٢)]، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»[(٣)].

٦) اختصاصه بصلاة الجمعة وخطبتها

من خصائص يوم الجمعة وأمارات فَضلِه ما شرعه الله ﷻ لعباده المؤمنين فيه من صلاة الجمعة، وهي مِنْ آكد فروض الإسلام، ومِن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم مِن كل مجمع يجتمعون فيه سوى مجمع عرفة[(٤)]، وقد أمر الله ﷻ بالسعي إليها في كتابه، وأمر بما يحُفُّها من مظاهر التعظيم والفضل، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ٩ - ١٠].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٨٤)، وجوَّد المنذريُّ إسناده في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٩٦): حسن صحيح.

(٢) قال النووي رحمه الله: (المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق). [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١٧٠)].

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (١/ ٣٦٤-٣٦٥).

وورد في التشديد فيها ما لم يأت نظيره في غيرها من الصلوات، فعن أبي الجعد الضَّمْريِّ -وكانت له صحبة- أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا؛ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ**»(٢).

وعن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ**(٣)**، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»(٤).

وقد ورد في فضلها وفضل بعض الأعمال المتعلقة بها أحاديث عدة، نذكر طرفًا منها، فمن ذلك:

أ. ما ورد في فضل التبكير إليها، وأنه من أعظم القربات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً،**

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٢) كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، باب التشديد في ترك الجمعة، والترمذي (٥٠٠) أبواب الجمعة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، والنسائي (١٣٦٩) كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة، وابن ماجه (١١٢٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٦٥٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٣) **ودعهم الجمعات**: أي تركهم إياها والتخلف عنها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥/١٦٦)].

(٤) رواه مسلم (٨٦٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في ترك الجمعة.

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[(١)].

وفي المناسبة بين الصلاة والقربان يقول ابن القيم رحمه الله[(٢)]:

(لما كان -أي: الجمعة- في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملًا على صلاة وقربان، وكان يوم الجمعة يوم صلاة؛ جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلًا من القربان وقائمًا مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان)[(٣)].

ب. ما ورد في التشديد في التأخير عن صلاة الجمعة:

فمن ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**احْضُرُوا الْجُمُعَةَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَتَخَلَّفُ عَنِ الْجُمُعَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَخَلَّفُ عَنِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِهَا**»[(٤)].

جـ. اختصاص صلاة الجمعة بآداب، وفضل خطوات المتأدب بهذه الآداب:

عن **أوس بن أوس الثقفي** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ؛**

---

(١) رواه البخاري (٨٨١) كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٢) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزَّرعي ثم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تفقَّه في مذهب الإمام أحمد وبرع وأفتى، لازم ابن تيمية وأخذ عنه، وتفنَّن في علوم الإسلام، وكان ذا عبادة وتهجد، وقد امتُحن وأوذي مرات، وصنف تصانيف كثيرة، منها: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، و«مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، وتوفي سنة ٧٥١هـ.

انظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (٢/ ٤٤٧).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (١/ ٣٨٦).

(٤) رواه أحمد (٢٠١١٢)، والطبراني (٦٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٠).

كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[(١)].

ه د. ما ورد في مغفرة الذنوب للقائم بآداب صلاة الجمعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»[(٢)].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يَحْضُرُ الجُمُعَةَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ؛ رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو، فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللهَ لأ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَزِيَادَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]»[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥) كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، والترمذي (٤٩٦) كتاب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، وابن ماجه (١٠٨٧) كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، والنسائي (١٣٨١) كتاب الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٩٠).

(٢) رواه مسلم (٨٥٧) كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة.

(٣) رواه البخاري (٨٨٣) كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة.

(٤) رواه أبو داود (١١١٣) كتاب الصلاة، باب الكلام والإمام يخطب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٤٥).

وقد ورد التشديد في عدم الإنصات في خطبة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ؛ فَقَدْ لَغَوْتَ»(١).

o هـ. ما ورد في كون الجمعة إلى الجمعة كفارة لِمَا بينهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»(٢).

o و. ما ورد في الحث على لبس أحسن الثياب فيه:

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَي مِهْنَتِهِ!»(٣).

٧) ساعة إجابة الدعوات في يوم الجمعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «إِنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

وقال بيده يُقَلِّلُها يُزهِّدها(٤).

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ في خصال يوم الجمعة: «... وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٨٥١) كتاب الجمعة، باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لِمَا بينهن ما اجتنبت الكبائر.

(٣) رواه أبو داود (١٠٧٨) كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، باب اللبس للجمعة، وابن ماجه (١٠٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣٨٩).

(٤) رواه البخاري (٩٣٥) كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، ومسلم (٨٥٢) كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة.

(٥) رواه ابن ماجه (١٠٨٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، وأحمد (١٥٥٤٨) (٣/ ٤٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «... **وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ**»[1].

وقد ورد في ساعة الجمعة أحاديثُ عدة، واختلف أهل العلم في تعيين ساعة الإجابة يوم الجمعة أي ساعة هي؟

وأرجح هذه الأقوال ممَّا دلت عليه الأحاديث الثابتة قولان:

- **الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة:**

ومن الأحاديث الدالة عليه: حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ**»[2].

- **والثاني: أنها ساعة بعد العصر:**

ومن الأحاديث الدالة عليه: حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: قلت ورسول الله ﷺ جالس: إنا لنجد في كتاب الله[3]: في يوم الجمعة ساعةٌ لا يوافقُها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئًا إلا قضى له حاجته. قال عبد الله: فأشار إليَّ رسول الله ﷺ: «**أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ**»، فقلت: صدقت، أو بعض ساعة. قلت: أي ساعة هي؟ قال: «**هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ**». قلت: إنها ليست ساعة صلاة، قال: «**بَلَى، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ،**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٨٤)، وجوَّد المنذريُّ إسناده في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٩٦): حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٨٥٣) كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة.

(٣) المراد بقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه: (في كتاب الله) أي: في التوراة أو بعض كتب أهل الكتاب، وعبد الله ابن سلام كان من علماء بني إسرائيل قبل إسلامه، ومن العلماء بكتابهم. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٤/ ١٠٢).

لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»**[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر أحد عشر قولًا في ساعة الجمعة: (وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة، وأحدهما أرجح من الآخر)، وذكر القولين المذكورين آنفًا، ثم قال في القول الثاني -أنها ساعة بعد العصر-: (وهذا أرجح القولين)، وقال أيضًا: (وهذا هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، ويليه القول بأنها ساعة الصلاة، وبقية الأقوال لا دليل عليها).

ثم قال رحمه الله:

(وعندي أن ساعةَ الصلاة ساعة تُرجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة، تقدَّمت أو تأخَّرت؛ لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة تُرجى فيها الإجابة، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها، ويكون النبي ﷺ قد حضَّ أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين)[3].

---

(١) رواه ابن ماجه (١١٣٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٤): إسناده على شرط الصحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢): حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٨) كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، باب الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة، والنسائي (١٣٨٩) كتاب الجمعة، وقت الجمعة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٣).

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (١/ ٣٧٦-٣٨٢).

وبمثله قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1].

٨) النهي عن إفراده بالصيام

فمن أحاديث النهي عن تخصيص يوم الجمعة بالصيام: حديث محمد بن عباد بن جعفر قال: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يطوف بالبيت: أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ فقال: نعم، وربِّ هذا البيت[2].

وقيَّد النبي ﷺ ذلك بما إذا كان صيام اليوم منفردًا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَصُمْ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ، أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ**»[3].

وفي رواية عند مسلم زيادة النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بالقيام دون سائر الليالي: «**لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**»[4].

وصح عنه ﷺ الأمر بالفطر لمن صام الجمعة منفردًا:

فعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: «**أَصُمْتِ أَمْسِ؟**»، قالت: لا، قال: «**تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟**» قالت: لا، قال:

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٤١٦-٤٢٢).

وابن حجر: هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أصله من عسقلان بفلسطين، مولده بمصر سنة ٧٧٣هـ، له تصانيف عظيمة، من أشهرها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«لسان الميزان»، و«تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، و«بلوغ المرام من أدلة الأحكام»، وتوفي سنة ٨٥٢هـ.

انظر: البدر الطالع، للشوكاني (١/ ٨٧).

(٢) رواه البخاري (١٩٨٤) كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ورواه مسلم (١١٤٣) كتاب الصيام، باب كراهة صوم يوم الجمعة منفردًا.

(٣) رواه البخاري (١٩٨٥) كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ورواه مسلم (١١٤٤) كتاب الصيام، باب كراهة صوم يوم الجمعة منفردًا.

(٤) رواه مسلم (١١٤٤) كتاب الصيام، باب كراهة صوم يوم الجمعة منفردًا.

«فَأَفْطِرِي»[1].

وورد تعليل النهي عن صيامه بكونه عيدًا: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ، فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ، إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ**»[2]، وفي الحديث مقال.

ولأهل العلم عدة أقوال في تعليل النهي عن صيام يوم الجمعة منفردًا، **والحديث السابق ظاهر في اعتبار علة النهي كونه يومَ عيدٍ عند من يصحِّحه.**

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله إشكالين على هذا التعليل وجوابهما، فقال: (وقد أُورِد على هذا التعليل إشكالان:

أحدهما: أن صومه ليس بحرام، وصوم يوم العيد حرام.

والثاني: أن الكراهة تزول بعدم إفراده.

وأُجيب عن الإشكالين بأنه ليس عيد العام، بل عيد الأسبوع، والتحريم إنما هو لصوم عيد العام)[3].

وقال ابن حجر رحمه الله:

(أجاب ابن القيم وغيره بأن شَبَهَهُ بالعيد لا يستلزم استواءَه معه مِن كل جهة، ومَن صام معه غيره انتفت عنه صورة التحرِّي بالصوم)[4].

ولأهل العلم أقوال أخرى في تعليل النهي، منها:

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٦) كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة.

(٢) رواه أحمد (٨٠٢٥)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٨/ ١٢٨): إسناده صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط (١٣/ ٣٩٥): إسناده حسن، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٣٤٤)، وضعيف الجامع (٢٠٣١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (١/ ٤٠٦).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٣٥).

التقوِّي على عبادات يوم الجمعة، كما قال النووي رحمه الله[(١)]: (قال العلماء: والحكمة في النهي عنه أن يوم الجمعة يوم دعاء وذكر وعبادة من الغسل والتبكير إلى الصلاة وانتظارها واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠]، وغير ذلك من العبادات في يومها، فاستُحِبَّ الفطر فيه، فيكون أعون له على هذه الوظائف وأدائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة، وهو نظير الحاج يوم عرفة بعرفة، فإن السنة له الفطر -كما سبق تقريره- لهذه الحكمة.

فإن قيل: لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى، فالجواب: أنه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه، فهذا هو المعتمد في الحكمة في النهي عن إفراد صوم الجمعة)[(٢)].

قال ابن حجر متعقبًا النووي:

(وفيه نظر؛ فإن الجبران لا ينحصر في الصوم، بل يحصل بجميع أفعال الخير، فيلزم منه جواز إفراده لمن عمل فيه خيرًا كثيرًا يقوم مقام صيام يوم قبله أو بعده، كمن أعتق فيه رقبة مثلًا، ولا قائل بذلك، وأيضًا فكأن النهي يختص بمن يخشى عليه الضعف لا من يتحقق القوة)[(٣)].

---

(١) **النووي**: هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن، الفقيه الشافعي الدمشقي، الحافظ الزاهد، وُلد سنة ٦٣١هـ، كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا، من تصانيفه: «شرح صحيح مسلم»، و«المجموع شرح المهذب»، «رياض الصالحين»، وتوفي سنة ٦٧٦هـ.
انظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٨/ ٢٠).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٣٥).

وعليه؛ فتعليل النهي عن إفراد صوم يوم الجمعة بالصيام بأنه يوم عيد هو الأقرب، والله تعالى أعلم.

٩) خصوصية يوم الجمعة وليلته بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

لحديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[١].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان المناسبة بين يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ: (ورسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فلِلصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنما نالته على يده، فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة؛ فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمِن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته)[٢].

- فذكر وجهين للمناسبة:

الأول: المناسبة بين كونه ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام.

الثاني: المناسبة بين ما يحصل لأهل الجنة من الخير في هذا اليوم، وشكره ﷺ على ذلك بالصلاة عليه؛ لكونه سببًا لكل هذا الخير؛ فإنما عرفوه وحصَّلوه على يديه ﷺ.

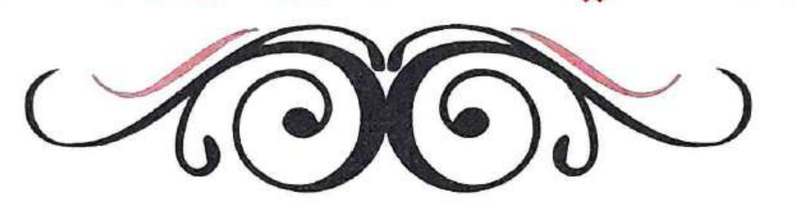
---

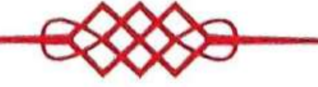
(١) رواه البيهقي في سننه (٣/ ٢٤٩)، وابن عدي (٢/ ١٢٩)، وقال الألباني: (وبالجملة فالحديث بهذا الطرق حسن على أقل الدرجات، وهو صحيح بدون ذكر ليلة الجمعة). [السلسلة الصحيحة (١٤٠٧) (٣/ ٣٩٧-٣٩٨)].

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (١/ ٣٦٤).

الفصل الثاني

السور التي خُصَّ بها يوم الجمعة









الفصل الثاني:

السور التي خُصَّ بها يوم الجمعة

من فضائل يوم الجمعة ما خُصَّ به هذا اليوم الشريف مِن سور القرآن الكريم؛ فقد سنَّ النبيُّ ﷺ تخصيصَه ببعض السور، منها ما كان يقرؤه على منبره الشريف، ومنها ما كان يقرؤه ويكرِّره في صلاة الجمعة، ومنها ما كان يقرؤه في صلوات أخرى في يوم الجمعة كصلاة الصبح، ومنها ما حث على قراءته ورتَّب عليه الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وقد تعدَّدت المرويات المتعلقة بالسور التي خُصَّ بها يوم الجمعة ما بين صحيح وضعيف، فكان هذا الجمع الموجز للسُّوَر التي وردت أحاديث في تخصيص يوم الجمعة بها، من خلال مبحثين:

المبحث الأول: السور التي ثبت تخصيص يوم الجمعة بها.

المبحث الثاني: السور التي ورد تخصيص يوم الجمعة بها بروايات ضعيفة.







المبحث الأول:

السور التي ثبت تخصيص يوم الجمعة بها

من جملة السُّور التي ورد تخصيص يـوم الجمعـة بهـا صـحَّت الأحاديـثُ والآثـار في ثمان سور، وهي: سـورة الكهـف، وسـورة ق، وسـورتا السـجدة والإنسـان، وسـورتا الجمعة والمنافقون، وسورتا الأعلى والغاشية، وهذا تفصيلها:

١) سورة الكهف:

ورد في فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة أن من قرأها أُعطي نورًا من حيـث قرأهـا بينه وبين مكة، وأضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلَّط عليه أو لم يكن له عليه سبيل، ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة كان له نورًا مـن حيث قرأها ما بينه وبين مكة[١].

وفي رواية البيهقي: أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق.

والحديث رُوي مرفوعًا وموقوفًا، والصواب وقفه، إلا أن له حكم المرفوع إلى النبـي ﷺ؛ فمثله لا يُقال بالرأي ولا يحتمل تلقيه عن أهل الكتاب[٢].

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٤) باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال، وأبو عبيد (١٧٥)، والدارمي (٢/ ٤٥٤)، والبيهقي (٥٩٩٦) كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة سورة الكهف وغيرها، والحاكم (١/ ٥٦٤)، وصححه الألباني في الإرواء (٦٢٦)، وانظر كلامه على الحديث (٣/ ٩٣-٩٥).
ولفظ «يوم الجمعة» زيادة في رواية هشيم عند البيهقي وغيره، وهي مقبولة؛ فهشيم ثقة، وزيادته لا تُعدُّ مخالفة، ولها شواهد.

(٢) وقد فصَّل الكلام في طرق هذا الحديث والكلام عليها د. محمد رزق طرهوني في «موسوعة فضائل الآيات والسور» (١/ ٣٣٧-٣٤١).

كما رُويت عدة أحاديث مرفوعة في سند كلٍّ منها مقال، إلا إنها بمجموعها -مع ما ورد موقوفًا عن أبي سعيد الخدري- فيها دلالة على أن لقراءة الكهف يوم الجمعة أصلًا في السنة[1].

٢) سورة ق:

صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ سورة ق على منبره يوم الجمعة.

فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها، قالت: لقد كان تَنُّورُنا وتَنُّورُ رسول الله ﷺ واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذتُ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[2].

٣-٤) سورة السجدة وسورة الإنسان:

صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في صلاة الفجر يومَ الجمعة بالسجدة والإنسان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾[3].

---

(١) جمعها د. محمد رزق طرهوني في موسوعته (حاشية ١/ ٣٤٤-٣٤٦)، وما يتعلق منها بتخصيص الجمعة بقراءة سورة الكهف:

- ما رواه الضياء في المختارة عن علي مرفوعًا، وفيه العصمة بقراءتها إلى ثمانية أيام والعصمة من الدجال.
- وما رواه الديلمي عن أبي هريرة وابن عباس مرفوعًا، وفيه إعطاء قارئها النور إلى مكة، والمغفرة إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام، والمعافاة من فتنة الدجال.
- وما رواه الديلمي عن ابن عباس أيضًا مرفوعًا، وفيه أن من قرأها ليلة الجمعة كان له نورًا كما بين صنعاء إلى بصرى، ومن قرأها في يوم الجمعة حفظ إلى الجمعة الأخرى، والعصمة من الدجال.
- وما ذكره القرطبي عن أنس -ولم يعزه إلى أحد-، وفيه إعطاء نور ما بين السماء والأرض، والوقاية من فتنة القبر.
- وما رواه ابن مردويه عن عائشة مرفوعًا، وفيه المغفرة بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام.

(٢) رواه مسلم (٨٧٣) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة.

(٣) رواه البخاري (٨٩١) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم (٨٨٠) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾، وأن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾[(٢)].

٥-٦) سورة الجمعة وسورة المنافقون:

صحَّ عن النبي ﷺ يقرأ بهما في صلاة الجمعة.

وتقدم في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم في الكلام عن سورتي السجدة والإنسان.

وعن ابن أبي رافع، قال: استخلف مروانُ أبا هريرة رضي الله عنه على المدينة، وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة الجمعةَ، فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الآخرة: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾، قال: فأدركتُ أبا هريرة حين انصرف، فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما بالكوفة، فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة[(٣)].

وورد عن النبي ﷺ الجمعُ بين سورتي الجمعة والغاشية في صلاة الجمعة.

فعن عبيد الله بن عبد الله، قال: كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير رضي الله عنه يسأله: أي شيء قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة سوى سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٨٧٩) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة.

(٢) رواه ابن ماجه (٨٢٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) رواه مسلم (٨٧٩) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة.

(٤) رواه مسلم (٨٧٨)، كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الجمعة.

٧-٨) سورة الأعلى وسورة الغاشية:

صح أن النبي ﷺ كان يقرأ بسورتي الأعلى والغاشية في صلاة الجمعة، وكذا في صلاة العيد، وكانا إذا اجتمعا في يوم واحد قرأ بهما في الصلاتين.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد؛ يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين(١).

وعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة وفي العيدين بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾(٢).

وقد صحَّ عنه ﷺ الجمعُ بين سورتي الجمعة والغاشية في صلاة الجمعة، كما تقدم في حديث النعمان بن بشير في الكلام عن سورتي الجمعة والمنافقون.



---

(١) رواه مسلم (٨٧٧) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الجمعة.

(٢) رواه أبو داود (١١٢٥) كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، باب ما يقرأ به في الجمعة، وأحمد (٢٠١٥٠) (٥/ ٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٦٤٤).



المبحث الثاني:

السور التي ورد تخصيص يوم الجمعة بها بروايات ضعيفة

وردت عدة روايات ضعيفة في تخصيص يوم الجمعة بقراءة بعض السور، وهذا بعض ما ورد فيها:

١) قراءة سورة البقرة ليلة الجمعة:

عن عبد الواحد بن أيمن قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَا بَيْنَ لَبِيدَاءَ وَعَرُوبَا»**(١).

والحديث ضعيف(٢)؛ وعلَّته إرسال عبد الواحد بن أيمن.

٢) قراءة سورة آل عمران يوم الجمعة أو ليلتها:

أما في يوم الجمعة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ»**(٣).

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٤٧) باب الجيم، باب في الترهيب من ترك الجمعة، وقال: (فلبيداء: الأرض السابعة، وعروبا: السماء السابعة) (١/ ٥٢٢).

وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩).

ورواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧/ ٥٣) بسنده عن عبد الواحد بن أيمن عن حُميد الشامي موقوفًا عليه، وعكس في معنى لبيداء وعروبا، ولعله خطأ.

وعزاه السيوطي -موقوفًا على حميد- في الدر المنثور (١/ ٤٩) إلى فضائل الأعمال لحميد بن زنجويه.

(٢) قال المناوي رحمه الله: (هو غريب ضعيف جدًّا). [فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ١٩٩)].

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١٠٠٢) والأوسط (٦١٥٧).

والحديث ضعيف، وقال بعض أهل العلم: موضوع[1].

وأما في ليلة الجمعة؛ فللحديث المتقدم في قراءة سورة البقرة ليلة الجمعة.

٣) قراءة سورة هود يوم الجمعة:

عن كعب الأحبار أن النبي ﷺ قال: «**اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ**»[2].

وهو ضعيف؛ علَّته: إرسال كعب الأحبار[3].

٤) قراءة سورة يس ليلة الجمعة:

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ حم الدُّخَانَ وَيس أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ**»[4].

والحديث ضعيف[5].

---

(١) **قال الهيثمي** رحمه الله: (فيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف). [مجمع الزوائد (٢/ ١٦٨)].

وضعفه السيوطي [الدر المنثور (٢/ ١٤٠)]، والشوكاني [فتح القدير (١/ ٣٥٧)].

وقال المناوي رحمه الله: (بإسناد ضعيف، بل قيل: موضوع). [التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٣٦)].

وذكره أبو شهبة في الموضوعات في كتب التفسير. [الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: (٣٠٩)].

وقال الألباني رحمه الله: (موضوع). [السلسلة الضعيفة (٤١٥) (١/ ٥٩٩-٦٠٠)].

(٢) رواه الدارمي (٤/ ٢١٤٢) كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور، والبيهقي في الشعب (٢٢١٤) تعظيم القرآن، فصل: في فضائل السور والآيات، ذكر سورة هود، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٦) إلى الدارمي وأبي داود في مراسيله وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) ذكره الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٧٠).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٢٢٤٨)، تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات، ذكر الحواميم، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إليه وإلى ابن الضريس (٧/ ٣٩٧).

(٥) **قال البيهقي** رحمه الله: (تفرد به هشام وهو هكذا ضعيف). [شعب الإيمان (٢٢٤٨) (٤/ ١٠٤)].

٥) قراءة سورة الدخان يوم الجمعة أو ليلتها:

عن **أبي أمامة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الجُمُعَةِ؛ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»**[١].

والحديث ضعيف جدًّا[٢].

وللحديث السابق في قراءة سورة يس ليلة الجمعة.

٦) قراءة سورة الزلزلة خمس عشرة مرة في ركعتين ليلة الجمعة[٣]:

رُوي ذلك عن ابن عباس مرفوعًا بتقييد الركعتين بعد صلاة المغرب، وأن يكون ذلك في كل ركعة: **«مَنْ صَلَّى بَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةٍ؛ هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ المَوْتِ،**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٢٦)، الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٤٥) باب الجيم، باب الترهيب من ترك الجمعة.

(٢) **قال الهيثمي** رحمه الله: (فيه فَضال بن جبير، وهو ضعيف جدًّا). [«مجمع الزوائد» (٣٠١٧) (٢/ ١٦٨)].

وقال الألباني رحمه الله: (ضعيف جدًّا). [السلسلة الضعيفة (٥١١٢)].

(٣) **فائدة: فيما ورد في فضائل تخصيص يوم من أيام الأسبوع بقيام أو صلاة نافلة:**

لم يرد حديثٌ صحيحٌ في فضل تخصيص يوم من أيام الأسبوع أو لياليه بقيام أو صلاة نافلة، وكل ما ورد في **ذلك فهو منكر مكذوب على رسول الله** ﷺ.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: (والصلاة يوم الأحد والاثنين وغير هذا من أيام الأسبوع -وإن كان قد ذكرها طائفةٌ من المصنفين فى الرقائق- فلا نزاع بين أهل المعرفة بالحديث أن أحاديثه كلها موضوعة، **ولم يستحبها أحد من أئمة الدين**). [مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٣٤)].

وقال **ابن القيم** رحمه الله: (أحاديث صلوات الأيام والليالي -كصلاة يوم الأحد وليلة الأحد ويوم الاثنين وليلة الاثنين إلى آخر الأسبوع- كل أحاديثها كذب). [المنار المنيف ص: (٩٥)].

وقال **العراقي** رحمه الله: (ليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء، وكلها ضعيفة منكرة). [تخريج الإحياء (١/ ٢٥٩)].

وقال الشوكاني رحمه الله: (قال في المختصر: لا يصح في صلاة الأسبوع شيء). [الفوائد المجموعة ص: (٤٦)].

وَأَعَاذَهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَسَّرَ لَهُ الجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

والحديث ضعيف[2].

ورُوِي عن أنس بن مالك مرفوعًا دون تقييد الركعتين ببعد المغرب، ودون ذكر أن ذلك في كل ركعة: «مَنْ صَلَّى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ قَرَأَ فِيهِمَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَةٍ؛ آمَنَهُ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[3].

والحديث ضعيف[4].

٧) قراءة سورتي الكافرون والإخلاص في مغرب ليلة الجمعة:

أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة، قال: كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة: الجمعة والمنافقين[5].

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٤٦) باب الجيم، باب الترهيب من ترك الجمعة

(٢) قال زين الدين المناوي ؒ: (قال ابن حجر في أماليه: سنده ضعيف). [فيض القدير (٦/ ١٦٨)].
وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٢/ ٤٤، ٤٥)، وقال: (وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه من هذا الطريق وقال: غريب وسنده ضعيف فيه من لا يعرف).

(٣) رواه أبو الطاهر السِّلَفي في معجم السفر (١٣٦٤)، وفيه: أبو الحسين علي بن حميد بن أبي مخلد الطرازي وأحمد بن سهل: مجهولا الحال، وعبد الله بن داود: ضعيف الحديث، وثابت بن حماد البصري: متهم بالوضع.

(٤) قال الحافظ العراقي ؒ في هذا الحديث ضمن أحاديث أخرى: (ليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء، وكلها ضعيفة منكرة). [تخريج الإحياء (١/ ٢٥٩)]، وانظر: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، أبو الحسنات اللكنوي ص: (٥٦).
وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٢/ ٤٤)، وقال: (لا يصح، عبد الله بن داود منكر الحديث جدًّا).

(٥) رواه البيهقي (٣/ ٢٠١) كتاب الجمعة، جماع أبواب الغسل للجمعة والخطبة وما يجب في صلاة الجمعة، باب القراءة في صلاة المغرب والعشاء ليلة الجمعة، وابن حبان (١٨٤١)، وعزاه السيوطي لهما في الدر المنثور (٨/ ١٥١).

والحديث ضعيف[1].

٨) قراءة سورتي الجمعة والمنافقون في عشاء ليلة الجمعة:

لما ورد في تتمة الحديث السابق عند البيهقي: كان النبي ﷺ ... ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة: الجمعة والمنافقين.

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٥٩): «ضعيف جدًّا».



الباب الثاني:

دراسة موضوعيّة لسور يوم الجمعة



الفصل الأول : سورة الكهف.

الفصل الثاني : سورة ق.

الفصل الثالث : سورة السجدة.

الفصل الرابع : سورة الإنسان.

الفصل الخامس : سورة الجمعة.

الفصل السادس : سورة المنافقون.

الفصل السابع : سورة الأعلى.

الفصل الثامن : سورة الغاشية.

الفصل الأول



المبحث الأول: التعريف بسورة الكهف.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة الكهف.






المبحث الأول:

التعريف بسورة الكهف

١) تسمية السورة:

- **سورة الكهف:**

وهي التسمية التي وردت في المصاحف، ووردت في كلام النبي ﷺ في أحاديث عدة، منها: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»[(١)].

- **سورة أصحاب الكهف:**

وقد وردت هذه التسمية في كلام النبي ﷺ -أيضًا- في أحاديث، منها: حديث النواس ابن سمعان الكلابي رضي الله عنه في فتنة الدجال، وفيه: «**فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ**»[(٢)].

ووجه التسمية في كليهما: ما تضمنته السورة من قصة أصحاب الكهف بتفاصيلها، وقد اختُصت هذه السورة بلفظة الكهف وقصة أصحاب الكهف دون سائر سور القرآن.

- **سورة الحائلة:**

وأورد هذه التسمية الآلوسي[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٤٥) باب ما جاء في فتنة الدجال، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأصله عند مسلم (٢١٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) روح المعاني، الآلوسي (١٥/ ١٩٩).

والآلوسي: هو أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، نسبة إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، مفسر محدِّث أديب، وُلد سنة ١٢١٧هـ ببغداد، تقلَّد الإفتاء ببلده وعزل عنه، فتفرَّغ للعلم، من كتبه تفسيره القيِّم: «روح المعاني»، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ.

انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ١٧٦).



وذكرها السيوطي في الإتقان[1].

مستدلَّيْن بحديث ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «**سُورَةُ الْكَهْفِ الَّتِي تُدْعَى فِي التَّوْرَاةِ الْحَائِلَةَ، تَحُولُ بَيْنَ قَارِئِهَا وَبَيْنَ النَّارِ**»، وهو حديث ضعيف[2].

٢) فضائل السورة:

- **ما ورد من نزول السكينة بقراءتها:**

عن البراء **بن عازب** رضي الله عنه، قال: كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشَطَنَيْنِ، فتغشَّته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**»[3].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ١٧٣).

والسيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، المصري، الشافعي، نشأ في القاهرة يتيمًا، وقرأ على جماعة من العلماء، وهو كثير المؤلفات، ومن أشهر مؤلفاته: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، و«الإتقان في علوم القرآن»، و«الجامع الصغير في الحديث»، وتوفي سنة ٩١١هـ.

انظر: شذرات الذهب (٨/ ٥١)، والبدر الطالع (١/ ٣٢٨).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٢٤٤٨) باب في تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات، وقال: تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا، وهومنكر، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٢٩٢).

(٣) رواه البخاري (٥٠١١) كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف، ومسلم (٧٩٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

وشطنين: تثنية شطن، وهو الحبل الطويل المضطرب. انظر: شرح النووي (٦/ ٨١).

فائدة: روى مسلم (٧٩٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، وذكره البخاري تعليقًا (٥٠١٨) كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن = حديثًا مشابهًا، وفيه تسمية الرجل وأنه أسيد بن **حضير** رضي الله عنه، والمقروء سورة البقرة لا سورة الكهف.

إلا أنه في حديث أبي سعيد الخدري لم يرد ذكر السكينة المذكورة في حديث البراء بن عازب في سورة الكهف، وجمع البخاري بينهما في ترجمة الباب، ولعله لأنه يرى أنها قصة واحدة كما ذكره ابن حجر. [فتح الباري (٩/ ٦٣)].

وفي الجمع بين الروايتين: يُحتمل أن تكون القصة متعددة، أو أن يكون قد قرأ سورة البقرة والكهف جميعًا، أو قرأ من كل منهما. انظر: فتح الباري (٩/ ٥٧).

وفيه فضل قراءة القرآن الكريم عامَّة، وفضل سورة الكهف خاصة، كما بوَّب البخاري له: (باب فضل الكهف).

- **وما ورد في فضل الآيات العشر الأوائل أو الأواخر منها:**

عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»، وفي رواية: «**مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ**»[(١)].

- **بالإضافة لما ورد في تخصيص يوم الجمعة بقرءاتها:**

وقد اختُلف في رفعه ووقفه، وقد سبق الكلام عليها، وبيان أن الأحاديث المرفوعة في ذلك في سند كل منها مقال، إلا أنها بمجموعها -مع ما ورد موقوفًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه- فيه دلالة على أن لقراءة الكهف يوم الجمعة أصلًا في السنة[(٢)].

٣) عدد آيات السورة[(٣)]:

مائة وخمس آيات في المدنيِّين والمكي، ومائة وست آيات في الشامي، ومائة وعشر آيات في الكوفي، ومائة وإحدى عشرة آية في البصري، بناءً على الاختلاف في مواضع رؤوس الآي في أحد عشر موضعًا:

- ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، لم يعدَّها الشامي رأس آية، وعدَّها الباقون.
- ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، عدَّها المدني الأخير رأس آية، ولم يعدَّها الباقون.
- ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ لم يعدَّها المدني الأخير رأس آية، وعدَّها الباقون.
- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ لم يعدَّها المدني الأول والمكي رأس آية، وعدَّها الباقون.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وقد سبق.

(٢) انظر: فصل «السور التي خُص بها يوم الجمعة» من هذا البحث (ص:٤٠-٤٢).

(٣) انظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ١٧٩).

- ﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لم يعدَّها المدني الأخير والشامي رأس آية، وعدَّها الباقون.

- ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ لم يعدَّها المدني الأول والمكي رأس آية، وعدَّها الباقون.

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مرتين، عدَّهن الكوفي والبصري آيات، ولم يعدَّهن الباقون.

- ﴿عِندَهَا قَوْمًا﴾ لم يعدَّها الكوفي والمدني الأخير رأس آية، وعدَّها الباقون.

- ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ لم يعدَّها المدنيان والمكي رأس آية، وعدَّها الباقون.

٤) زمن النزول:

سورة الكهف مكيةٌ بالاتفاق، قال ابن عطية[١]: (هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾[الكهف: ٨]، والأول أصح)[٢].

٥) سبب نزول السورة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بعثت قريشٌ النضرَ بن الحارث، وعقبةَ بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفوا لهم صفته، وأخبروهم بقولِه؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

---

(١) ابن عطية: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية، الغرناطي، القرطبي، عَلَم المفسرين، ولد سنة ٤٨١هـ وكان فقيهًا عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير واللغة، ولي القضاء، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، ومن أهم مؤلفاته تفسيره: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، وتوفي سنة ٥٤٦هـ.
انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٦٥)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٣/ ٤٩٤).
ولم يذكرها السيوطي في «الإتقان» في السور المختلف فيها. انظر: «الإتقان في علوم القرآن» - فصل في تحرير السور المختلف فيها (١/ ٣٠، وما بعدها).

فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبارَ يهودٍ عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعضَ قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبارُ يهودٍ: سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهنَّ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسلٌ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل، فرُوا فيه رأيكم: **سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول**، ما كان مِن أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب، **وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها**، ما كان نبؤه، **وسلوه عن الروح ما هو**، فإن أخبركم بذلك فإنه نبيٌّ فاتبعوه، وإن هو لم يخبِرْكم فهو رجل مُتَقَوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضرُ وعقبةُ حتى قَدِمَا مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمدٍ، قد أَمَرَنَا أحبارُ يهودٍ أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**أُخْبِرُكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ**»، ولم يستثنِ، فانصرفوا عنه.

فمكث رسولُ الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يُحدِث اللهُ إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيلُ عليه السلام، حتى أرجف أهلُ مكة، وقالوا: وَعَدَنا محمدٌ غدًا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيءٍ مما سألناه عنه. وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة.

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إيَّاه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوَّاف، وقول الله عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥][1].

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢١)، ورواه الطبري في جامع البيان (١٧/ ٥٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٧)، وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل.

٦) محور السورة:

سورة الكهف من السور التي تُعَدُّ القصص هي العنصر الغالب فيها؛ فمن جملة مائة وعشر آيات -في العدِّ الكوفيِّ- تستغرق القصص إحدى وسبعين آية، ومعظم ما تبقى مِن آيات إمَّا تعليق على القصص، وإمَّا ذِكرٌ لبعض المشاهد الأخرى كمشاهد القيامة وغير ذلك[١].

فنجدُ قصةَ أصحاب الكهف والتي سميت السورة باسمها، وقصةَ صاحب الجنتين، وإشارةً إلى قصة آدم وإبليس، وقصةَ موسى مع العبد الصالح، وقصةَ ذي القرنين.

فلا يسعُ الناظرَ في محور السورة الراغبَ في استنباط مقصدها إلا تدبرُ هذه القصص، والبحث عن الخيط الناظم الذي يجمعُها؛ ليصل -بتوفيق الله ﷻ- إلى الموضوع الرئيس الذي تدور عليه آيات السورة.

وقد تعـدَّدت أقوال الباحثين في مقاصد السور حول مقصد هذه السورة، وتباينت تباينًا واسعًا نظرًا لتعدد موضوعاتها، وكثرة هداياتها، وسعة معانيها، ولا تعارض بين ما ذكروه من مقاصد وأغراض، **ولكننا نودُّ أن ننظر في سبب نزول السورة وما ورد فيها من فضائل،** وأن نجرِّد مقصد السورة إلى أبسط صورة ممكنة، ثم تأتي استنباطات المفسِّرين التي قد توجِّه أقوالَهم في المقاصد إلى أغراض بعينها = تبعًا بعد ذلك.

لا يخفى مِن خلال النظر في سبب نزول السورة أنه في سؤال قريشٍ رسولَ الله ﷺ عن ثلاثة أمور نقلًا عن أحبار اليهود، وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وسؤاله عن الروح.

أما السؤال عن الروح فجاء جوابه في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[الإسراء: ٨٥].

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٥٦-٢٢٥٧).

فتبقَّى مِن الأسئلة الثلاثة: **السؤال عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين**[١].

وكأننا بالنظر في سبب النزول يمكننا أن نحدد المحورين الرئيسيين اللذين نزلت السورة لهما، ومن ثَمَّ اعتبار سائر القصص والهدايات والمشاهد في السورة بين تعقيب وتنويه على قصة، وتمهيد وتوطئة لقصة أخرى.

ثم بالنظر في فضائل السورة نجد أن لها علاقة بالعصمة من أعظم فتنةٍ تتعرض لها البشرية، وهي فتنة المسيح الدجَّال، وهذا في حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ** -وفي رواية: **مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ**- **عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»[٢].

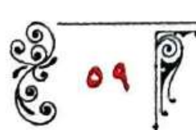
فهذه فتنةٌ عظيمةٌ حذَّر منها الأنبياء أقوامهم، وحذَّر منها رسول الله ﷺ أمتَه، وعلَّمهم أن يستعيذوا بالله ﷻ منها، وجعل ﷺ حفظ هذه الآيات سببًا في الوقاية من هذه الفتنة، ولا شكَّ أن مرجعَ هذه الوقاية لا يقتصر على قراءة الألفاظ وجمع الحروف على لسان قارئها فحسب؛ بل إن في هذه الآيات -وفي هذه السورة بالعموم- إشاراتٍ وتوجيهاتٍ تعصمُ الإنسانَ من الفتن، وهذا ما تجلَّى لي مِن خلال القراءة الموضوعية لآيات السورة كما سيأتي.



---

(١) ممن أشار إلى أن من أهم أغراض سورة الكهف بيان قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين: الطاهر ابن عاشور في تفسيره. انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٤٤).

(٢) رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وقد سبق في الكلام عن فضائل السورة.



المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة الكهف

قراءة إجمالية لسورة الكهف:

تبدأ سورة الكهف بحمد الله ﷻ الذي أنزل القرآن الكريم، والذي هو العصمة من الفتن، والمرشِد إلى العواصمِ منها، وأُدمِجَ في هذا الحمد إنذارُ المعاندين، وبشارةُ المؤمنين، وتسليةُ الرسول ﷺ، وذكرُ افتتان المشركين بالدنيا[1].

وبعد هذا التقديم تأتي قصة أصحاب الكهف، وهي أنموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها، والعصمة من فتنة الأهل والعشيرة، ثم جاء التعقيب عليها بتوجيه الرسول ﷺ أن يتلوَ ما أنزله اللهُ ﷻ عليه، وأن يصبرَ نفسه مع المؤمنين.

ثم تأتي قصة صاحب الجنتين، بأنموذجين في التعامل مع فِتَن المال، فتَعرِضُ اعتزازَ المؤمن بالله ﷻ وعدمَ اغتراره بزينة الدنيا، وفي المقابل: فتنةَ الآخر بمتاع الدنيا وأموالها، ثم يأتي في التعقيب عليها تقريرٌ لحقيقة الدنيا، وتقريرٌ للقِيَمِ الحقيقيَّة الباقية.

ثم تتصل عدةُ مشاهدَ من مشاهدِ القيامة، تتوسطُها إشارةٌ إلى قصةِ آدم وإبليس، وتنتهي ببيان سنة الله ﷻ في إهلاك الظالمين، ورحمة الله ﷻ وإمهاله للمذنبين إلى أجل معلوم.

ثم تأتي قصة موسى والخضر -العبد الصالح-، ويتجلَّى فيها سعيُ موسى عليه السلام ليتعلَّم ما لم يكن يعلم، وفي ثنايا القصة عدةُ مشاهد فيها ألوانٌ متعددةٌ مِن الفتن التي تُصيبُ بني آدم في هذه الدنيا، مع إرشادات قرآنية في سياق القصة إلى حكمة الله ﷻ في تقدير الأقدار وتشريع الشرائع.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٤٥)

ثم تأتي **قصةُ ذي القرنين** الملكِ الصالحِ، الذي آتاه اللهُ ﷻ المُلكَ، فلم يُفتَن بـه، بـل اتقى ربَّه، وعمل في مُلكه بما يحبه الله ويرضاه.

وتُختم السورة بمثل ما بدأت بـه: بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين وإثبات الـوحي وتنزيـه الله ﷻ عن الشرك[1].

من هدايات سورة الكهف:

- **مقدمة السورة:**

لَمَّا كان كتاب الله ﷻ هو العصمة والنجاة من الفتن لكلِّ مَن استمسك بهديه القويم؛ **فقد استُفتِحت السورة الكريمة بحمد الله ﷻ على نعمة إنزاله الكتاب:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف: ١-٥].

فشرفُ المصدر في نزولِه من عند الله ﷻ، وقد اصطفى الله له محمدًا ﷺ لينزل عليه القرآن تشريفًا، ووصف اللهُ ﷻ نبيَّه ﷺ بأنه «عبده» لأن عبودية الله ﷻ هي أسمى المقامات، وبيانها من أسمى مقاصد القرآن الكريم.

وأخبر الله ﷻ عن بعض **خصائص هذا الكتاب العظيم،** فهو **سالمٌ من العوج في ألفاظه** ومعانيه ومقاصده، لا يتطرَّق إليه خلل ولا نقص، وهو **قيِّمٌ في ذاته مقيمٌ لغيره،** وكذلك جعله الله **قيِّمًا على الكتب السابقة مهيمنًا عليها**[2].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٥٩).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٢٨٣)، ونظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٤).

وذكر الله ﷻ بعض **غايات القرآن**؛ فقد أنزله الله ﷻ نذارةً للكافرين بالعذاب الشديد، وبشارةً للمؤمنين بالأجر الحسن والثواب الجزيل، هؤلاء الذين اعتصموا بالقرآن مِن الفتن، فعصمهم الله ﷻ، **وهاتان العلتان قد جَمعتا جميعَ معاني الكتاب**؛ فإنه لا يكون نذيرًا وبشيرًا إلا وقد جمع جميعَ شرائع الدين، وأمرَ المعاش والمعاد، وما يَعْنِيهم فعلُه أو تركُه[1].

فلا عجبَ أن كان القرآنُ أجزل النعم؛ لأنه سبب النجاة في الحياة الأبدية، والفوز في الحياة العاجلة، وكذلك فهو نعمةٌ على النبي ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن أن جعله الله ﷻ مبلغَ هذا الكتاب العظيم[2].

وبعد أن بيّن الله ﷻ عظمةَ القرآن المنذَر به؛ **بيَّن شناعة جُرمِ المنذَرين الذين افتروا على الله الكذبَ** فنسبوا له الولدَ -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، فقال ﷻ: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[الكهف: ٤-٥].

ثم سلَّى اللهُ ﷻ نبيَّه ﷺ الذي كاد يُهلك نفسَه همًّا وحزنًا على كفر من كفر وإعراض من أعرض، فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، فهم لا يستحقُّون هذا الوَجد والحزن، وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ.

ثم بيَّن الله ﷻ سببًا رئيسًا مِن أسباب صدودهم وإعراضهم، فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الكهف: ٧]، فالله ﷻ جعل ما على الأرض من زينةٍ اختبارًا وابتلاءً للناس، وما أعرض مَن أعرض إلا لتعلُّقِه بمتاعِ الدنيا الزائل، هذا المتاع الذي سرعان ما يزول ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨]، وينتقل الخلقُ

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٤٦)

إلى دار الحقِّ الباقية.

- **قصة أصحاب الكهف:**

ثم تبدأ **قصةُ أصحاب الكهف**، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بالله ﷻ، واعتصموا به، وأخذوا بأسباب النجاة من الفتن، فأنجاهم اللهُ ﷻ، وجعلهم آيةً لمن بعدهم.

وتبدأ الآيات بتلخيص القصة وذِكر خطوطها العريضة، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾[الكهف: ٩ - ١٢].

فتضمَّن هذا الإجمال: ذِكرَ أصحاب الكهف وأنهم فتيةٌ آمنوا بالله ﷻ، وأنهم آووا إلى الكهف، وأن الله ضرب على آذانهم سنينَ عددًا، وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم[1].

ثم بعد هذا التلخيص يأتي تفصيل خبرهم: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[الكهف: ١٣]، وذِكرُهم بوصف الفتية فيه بيان لحداثة سنهم مع قوة إرادتهم وحماستهم، وهم قد آمنوا بربِّهم، فزادهم الله ﷻ هدًى وربط على قلوبهم، كما قال ﷻ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[الكهف: ١٤ - ١٥].

وفي قولهم إشارةٌ إلى سببٍ من أهم أسباب العصمة مِن الفتن، وهو العقيدة الصحيحة الواضحة الراسخة، وطريق الاعتقاد أن يكونَ للإنسان دليلٌ قويٌّ يستند إليه، لذلك فقد استنكروا فعلَ قومِهم مِن المشركين أن اتَّخذوا مِن دون الله ﷻ آلهةً يعبدونها دون أن يكون

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٦١).

لهم دليل على ما فعلوا أو حُجَّة يُستَنَدُ إليها[1]، فقالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾[الكهف: ١٥].

ثم أخبر الله سبحانه تعالى عن اعتزالهم قومهم وإيوائهم إلى الكهف، فقال: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]، وفي قولهم دليل على حُسنِ ظنِّهم بالله ﷻ، وجميلِ توكلِهم عليه[2]، وهو من آثار ربط الله ﷻ على قلوبهم فيما أخبر به عنهم: ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾[الكهف: ١٤][3]، ومن أسباب عصمتهم من الفتن.

ومِن حُسن ظنِّهم بالله ﷻ أن يأووا إلى كهف مظلم موحش، وهم على يقين أن الله ﷻ سينشر لهم من رحمته، وكأن حُسنَ ظنِّهم قد وسَّع كهفهم وأزال وحشته.

واللهُ ﷻ عند حسن ظن عبده، وقد كان عند حُسنِ ظنِّهم؛ فصَرف أعداءَهم عن تتبعهم، وألهمهم موضعَ الكهف، وجعله على جِهةٍ صالحةٍ لتظلَّ أجسامُهم سليمة، وأنامهم نومًا طويلًا ليمضي عليهم الزمنُ الذي تتغيَّر فيه أحوالُ المدينة، وثبَّتهم على الحق، وجعلهم آيةً للناس على صدق الدين، وعلى قدرة الله، وعلى البعث[4].

ثم أخبر اللهُ ﷻ عن رعايتِه لهم وهم في كهفهم في صورةٍ تجعل السامعَ وكأنه يراها رأيَ عينٍ، حتى إنهُ لو اطَّلع عليهم لولَّى منهم فرارًا ولمُلِئ منهم رعبًا، ويتخلَّل ذلك تنويهٌ إلى كون ما حدث لأصحاب الكهف من آيات الله ﷻ، الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء، فقال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٧٥)، وفي ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٦٢).
(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣١٠).
(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٢٤).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٦٧).

وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[الكهف: ١٧ -١٨].

وبعد سنين طويلة شاء الله ﷻ أن يبعثهم من نومهم الطويل، قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾[الكهف: ١٩]، فلمَّا اختلفوا في مقدار ما لبثوا امتنعوا عن القول بالظن، وأحالوا العلم إلى الله ﷻ، وهذا من تمام إيمانهم[1].

وشأن المؤمن ألا ينشغل بما لا طائل من ورائه؛ بل ينتقل إلى الشأن العملي[2]، وهذا ما بدر منهم لما قال قائلهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١٩]، فأخذوا بالأسباب في خروجهم بالنقود ابتداءً[3]، وأخذوا بها ثانيًا في مبالغتهم في الحذر والحيطة والتخفي[4]، ولا ينافي هذا التوكل على الله ﷻ وحسن الظن به، بل إنَّ من تمام التوكل الامتثال لأمر الله ﷻ بالأخذ بالأسباب المشروعة.

وإنما كان هذا التلطف والعناية بألا يشعر بهم أحد لتربص كفار زمانهم بهم، قالوا: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾[الكهف: ٢٠].

ويشاءُ اللهُ ﷻ أن يُعثِرَ عليهم أهلَ زمانهم؛ ليكونوا آيةً مِن آيات الله لهم ودلالةً على قدرة الله ﷻ، وولايته لعباده المؤمنين، ودليلًا جليًّا على بعث الأبدان بعد موتها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٨٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٦٣).

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي (٣/ ٦، ٧)، ونظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٣٢).

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣١٠).

أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[الكهف: ٢١].

ثم ذكر اللهُ ﷻ اختلافَ الناس في عِدَّة أصحاب الكهف، وأثبت العلمَ لنفسه ﷻ، وأنه لا يعلم عدة أصحاب الكهف إلا قليل: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[الكهف: ٢٢].

ثم نهى نبيَّه محمدًا ﷺ عن المِراء في عِدَّتِهم؛ إذ هو انشغالٌ بما ليس فيه جدوى، ولتتعلمَ الأمة ترك الانشغال بما لا فائدة فيه للدين أو للناس، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[الكهف: ٢٣ -٢٤].

فجاء هذا العتاب اللطيف لَمَّا كان النبي ﷺ قد قال لسائليه: «**أُخْبِرُكُم غَدًا**» ولم يقل: إن شاء الله، فتأخَّر عليه الوحي، كما سبق ذكره في سبب نزول السورة، **وفي هذه الآية عِدَّةُ أوجهٍ مِن الكرامةِ للنبيِّ ﷺ**، منها: أن الله ﷻ أجاب سؤله، وأنه ﷻ علَّمه أدبًا عظيمًا مِن أدب النبوة، وأخَّر النهي بعد إجابة سؤاله استئناسًا لنفسه، ولئلَّا يُتوَهَّم أن النهي يقتضي الإعراضَ عن إجابة سؤاله، وكذلك شأن تأديب الحبيب المُكرِم[1].

ثم ذكر الله ﷻ مدة لُبْث أصحاب الكهف في كهفهم، مؤكدًا على علمه وكمال سمعه وبصره، قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٥ -٢٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٩٦).

o التعقيب على قصة أصحاب الكهف:

بعد هذا العرض لقصة أصحاب الكهف، والذي تخلَّلته عدةُ إشارات في عدد من قضايا الاعتقاد والعمل = **جاء التعقيبُ على قصة أصحاب الكهف بعدد من التوجيهات للنبي ﷺ والأمة من بعده، وبذكر بعض مشاهد يوم القيامة.**

فأمر الله ﷻ نبيَّه بتلاوة القرآن الذي أوحاه إليه، وأخبر ببعض خصائصه فقال: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٧].

ولما تبيَّن في قصة أصحاب الكهف كيف اجتمعوا على طاعة الله ﷻ وتآلفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم على نصرة دين الله ﷻ؛ دعا الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ أن يصبر نفسه مع أولياء الله المريدين لوجهه فلا ينصرف عنهم لفقرهم أو ضعفهم، فقال الله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٢٨]، هذه الزينةُ التي أخبر الله ﷻ عنها في أول السورة أنه جعلها اختبارًا وابتلاءً للناس: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧][1].

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقد كان بعضُ كفار قريش يتكبَّرون عن الجلوس مع النبيِّ ﷺ بحضرة ضعفاءِ الصحابة وفقرائهم، فكان هذا التوجيهُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ الذي يجلِّي الميزانَ بين الناس عند الله ﷻ[2]،

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٥١).

(٢) تنبيه: أخرج ابن ماجه في سننه، عن خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه سببًا لنزول آية سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وفي آخره سببٌ لنزول هذه الآية من سورة الكهف [حديث رقم: (٤١٢٧) كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء]، وفيه أن سبب نزول الآية أن الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري طلبا من النبي ﷺ أن يجعل لهما مجلسًا بعيدًا عن ضعفاء الصحابة حيث حقروا أن يجلسوا مع صهيب وبلال وعمار وخباب رضي الله عنهم. =

فالإسلامُ لا يتملَّق أحدًا لماله أو جاهه أو نسبه، ولا يَزِنُ بموازينِ الجاهلية[1].

وبعد هذه الآياتِ الجليَّةِ على صِدقِ النبيِّ ﷺ، وما تضمَّنته مِن أدلةٍ على علـمِ الله ﷻ وقدرتِه، وإمكانِ البعث بعد الموت = لم يبقَ للكفار عذرٌ في البقاء عـلى مـا هـم عليـه مـن صدودٍ وإعراضٍ، فأمر اللهُ ﷻ نبيَّه ﷺ أن يردِّد كلمةَ الحقِّ على مسامعهم، أما ثمرةُ الـدعوةِ ونتاجُها فأمرٌ مفوَّضٌ إلى الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩][2].

ثم ذكر الله مصيرَ كلٍّ مِن الفريقين؛ أمَّا الكافرون فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف: ٢٩].

وأمَّا أهل الإيمان الذين استجابوا لهذا الحقِّ فأخبر الله ﷻ عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف: ٣٠-٣١].

= والحديث وإن كان ضعيفًا إلا إنه -إضافةً إلى ذلك- في متنه غرابة؛ فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن إنما أسلما بعد الهجرة. [انظر: «المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة»، د. خالد المزيني (حاشية ١/ ٥٢٨) السبب: (٨٢) -سورة الأنعام].

وقد نبَّه على هذا الأمر ابن عطية رحمه الله في قوله: (سبب هذه الآية: أن عظماء الكفار، قيل: من أهل مكة، وقيل: عيينة بن حصن وأصحابه، **والأول أصوب؛ لأن السورة مكية..**) إلى آخر كلامه [«المحرر الوجيز» (٣/ ٥١٢)].

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٦٨).

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٥١)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٢١).



- العواصم من الفتن في قصة أصحاب الكهف:

وانتظامًا مع محور السورة؛ فيُمكن أن نستنبط من قصة أصحاب الكهف عددًا من أسباب العصمة من الفتن، وكذلك في التعقيب على القصة:

فمن هذه العواصم: الاعتصام بالعقيدة الصحيحة، ورسوخ هذه العقيدة في القلب:

يظهر ذلك في قول أصحاب الكهف: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[الكهف: ١٤]، وفي التوجيه الإلهي للنبي ﷺ: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الكهف: ٢٧]، وفي قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[الكهف: ٢٩].

ومنها: الاعتصام بسلاح الدعاء، خاصة في مواجهة المحن والابتلاءات والفتن:

يظهر ذلك في دعاء أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، وفي الإشارة إلى صفة هؤلاء المؤمنين الذين أُمر النبي ﷺ أن يصبر نفسه معهم: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

ومنها: الاجتماع مع أهل الإيمان على البر والتقوى:

ويظهر ذلك في قصة أصحاب الكهف من أولها حتى آخرها، وفي التوجيه الإلهي للنبي ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

وقد شملت بركةُ هذه الصحبة هذا الكلبَ الذي رافقهم، فأصابه ما أصابهم مِن النوم على تلك الحال، وصار له شأنٌ وذِكرٌ إذا ذُكروا، فما الظنُّ بالمؤمنين الموحدين المحبين للأولياء والصالحين؟![1]

ومنها: الانشغال بالمهم دون غيره، ومراعاة الأولويات:

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٢٣٢)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ١٤٤).

يظهر ذلك في مشهد استيقاظ أصحاب الكهف لما اختلفوا في مدة نـومهم، فقـالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[الكهف: ١٩]، وانشغلوا بـالمهم دون غـيره: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[الكهف: ١٩].

وكذلك في توجيه الله ﷻ لنبيه ﷺ في ذِكر اختلاف الناس في عِدَّة أصحاب الكهف: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: ٢٢].

ومنها: أنه إذا ضاقت الأمور، واشتدت الفتن، ووجد المؤمن على دينه خطرًا؛ جـاز له أن يفرَّ بدينه وأن يعتزل كما فعل أصحاب الكهف، وكما حدث بعد ذلك حين أمر الله نبيَّه ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وكأن في قصة أصحاب الكهف تهيئة للنبـي ﷺ وللمـؤمنين لتلقي الأمر الإلهي بالهجرة من أوطانهم إلى المدينة.

- قصة صاحب الجنَّتين:

ينتقلُ الحديثُ إلى قصة أخرى ومَثَلٍ آخر يأمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يضربه لقومه، وهـو ما كان من شأن صاحب الجنتين وصاحبه، **وما في هذه القصة مِن إشارةٍ إلى ما تفعله فتنة المالِ والعشيرة بصاحبِها،** فقد وقع صاحب الجنتين في هاتين الفتنتين في قوله لصاحبه المـؤمن: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٤]، فكان ذلك سببًا في كـفره بالله ﷻ، وإنكـاره ليوم المعاد.

ولهذه القصة اتصال بما قبلها أيضًا في قـول الله ﷻ لنبيـه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨]، فإن أموالَ المشركين ومتاعَ الدنيا -الذي حازوه والذي يفخرون به على ضعفاء المؤمنين- ليس موضعَ افتخار؛ بـل إن الغَنِيَّ يصيرُ فقيرًا بأمر الله ﷻ، والفقيرَ يصيرُ غنيًّا بأمره.

أمَّا الذي يحصل به الشـرف والعزة فهو طاعـة الله ﷻ وعبـادته، وهـي حـاصلة

لفقراء المؤمنين الذين أُمر النبي ﷺ أن يصبر نفسه معهم(1).

هذا الرجلُ ابتلاه الله ﷻ بنعمة المال، وأخبر عما رزقه إياه بقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤]، وبالرغم من كل هذه النعم فقد كفر بالله ﷻ، ووقع في براثن الفتنة، ولم يشكر نعمة الله ﷻ عليه.

فقال صاحبُ الجنتين لصاحبه المؤمن: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٤]، فتباهى بكثرة أمواله، واغترَّ بأهلِه وعشيرتِه، ولم يكتفِ بذلك؛ بل قادَه هذا الاغترارُ إلى الكفر بالله ﷻ وباليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

وقد كان مِن أعظم ما يحول بين المشركين في زمن النبي ﷺ والنظرِ في أدلة الإسلام انهماكُهم في الإقبال على الحياة الدنيا وزينتها، والغرورُ الذي غرَّ طغاة أهل الشرك وصَرَفهم عن إعمال عقولهم في فهم أدلة التوحيد والبعث(2).

وهنا يأتي حوارُ صاحبه المؤمن الداعي إلى الحق، الذي عصمه الله ﷻ من هذه الفتنة، فلم يغترَّ بأموال صاحب الجنتين، وأخذ يحاوره حوارًا هادفًا بنّاءً يقصد مِن خلاله أن ينتشله من أعماق الفتن ويردَّه إلى الحق(3).

قال ﷻ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧-٣٨].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١/ ١٢٤)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٣٠).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٣٨).

فأظهر له أولًا بطلانَ عقيدتِه الفاسدة، ثم بيَّن له العقيدةَ الصحيحةَ التي تضادُّ عقيدةَ صاحبِه(١).

ثم بيَّن هذا الرجلُ المؤمنُ **سبيلَ العصمةِ مِن فتنة المال والعشيرة التي وقع فيها صاحب الجنتين**، فقال: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩]، فإنَّ استحضارَ أن ما يتقلَّب الإنسانُ فيه مِن نعم إنما هو بمشيئة الله ﷻ، وأنه إن شاء الله أبقاها، وإن شاء أفناها = يصرفُ عنه الافتتانَ بمتاع الدنيا الزائل، الذي قد يصل بصاحبِه إلى كفر نعمة الله ﷻ عليه، بل الكفر بالله ﷻ كما وقع من صاحب الجنتين(٢).

ثم شرع هذا الرجلُ المؤمنُ في تصحيح المفاهيم وضبط الموازين وتأصيل القيم، فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾[الكهف: ٣٩-٤١]، **وفيه**: إثباتُ قدرة الله ﷻ، ورضا الرجل المؤمن بما قسمه الله له، ويقينُه بفضل الله واستبشاره به(٣).

ثم يشاء الله ﷻ أن يُعجِّل العقاب بصاحب الجنتين، فينزل بجنتيه ما ذكره صاحبه المؤمن، فيفيق من غفلته ويندم على ما صدر منه، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[الكهف: ٤٢-٤٤].

فلما وقع به العذابُ العاجلُ وكان قد أشرك؛ قال: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٢]، ولَمَّا لم ينفعْه أحدٌ أو ينصرْه وكان قد قال في صفة نفسه: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[الكهف: ٣٤]؛

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٦١).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٤١٠).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٣٩).



قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1].

- العواصم من الفتن في قصة صاحب الجنتين:

ويُستنبَط مِن قصة صاحب الجنتين عددٌ من أسباب العصمة من الفتن، مما ينتظم مع مقصد السورة أيضًا:

منها: العقيدة الصحيحة الراسخة، والتي تجلَّت في قوة حُجَّة الرجل المؤمن في قوله لصاحب الجنتين: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٣٧ -٣٨].

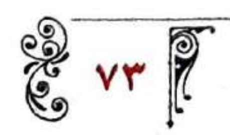
ومنها: اليقين بأنَّ ما يناله الإنسان من لذاتِ الدنيا وزينتِها إنما هو بمشيئة الله ﷻ، إن شاء أبقاه وإن شاء رفعه، وهذا مِن أعظم العواصم مِن فتنة المال، وقد أرشد الرجلُ المؤمنُ صاحبَ الجنتين إلى ذلك في قوله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

ومنها: عدم الاغترار بزينة الدنيا، وأصحاب الأموال والوجاهات، ويظهر ذلك جليًّا في قوة الرجل المؤمن في حواره مع صاحب الجنتين، وعدم انبهاره أو اغتراره بما كان لصاحبه من متاع الدنيا.

ومنها: وهو من أهم العواصم من فتنة المال: الرضا بما قسم اللهُ ﷻ، واليقينُ بفضله، يلخِّص ذلك قولُ الرجل المؤمن: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾[الكهف: ٣٩ - ٤٠].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٦٥)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٢٧).





○ التعقيب على قصة صاحب الجنّتين:

وبعد هذه القصة التي تجلَّى فيها أثرُ الاغترار بالدنيا وزخارفِها، وأنه مِن أعظم البواعث على الفِتن والدواعي إلى الصدود عن الحق = ضرب اللهُ ﷻ المثَلَ لزوالِ الدنيا وضـآلتها بصورةٍ يراها الناسُ أمام أعينهم، ثم جاء ذكرُ بعض مشاهد القيامة لترهيب المفتونين بزينة الدنيا المغترِّين بها، ولتسلية المؤمنين الذين أخذوا بأسباب العصمة مِن هذه الفتن[1].

فقال ﷻ: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[الكهف: ٤٥]، فيتناسبُ التوجيـهُ الإلهـيُّ للنبي ﷺ أولًا في أن يصبرَ نفسه مع المؤمنين مع مـا جـاء بعـده مـن التحـذير مِـن فتنـة الدنيافي قصة صاحب الجنتين، ثم مع تجلية حقيقة الدنيا في هذا المثل[2].

ثم ذكر الله ﷻ أبهى محاسن الدنيا، وتتمثل في المال والبنين، فبيَّن أنهما زينة مـن زينـة الدنيا الزائلة التي أخبر اللهُ ﷻ عنها في أول السورة أن غايتَها اختبارُ الإنسان وابـتلاؤه، فقال ﷻ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٤٦]، ثم جعل في مقابل ذلك ما ينفـع الإنسان مما يبقى أثرُه مما قدمه مِـن أعـمالٍ صـالحةٍ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[الكهف: ٤٦]. وهذه اللذاتُ لم يحرِّم الإسلامُ الطيِّبَ منها، لكنه لا يجعلُ منهـا غايةً لحياة الإنسان، فمَن شاء فليتمتَّع بها، ولكن ليذكُر الله الذي أنعم بها عليه[3].

ثم ذكر الله ﷻ بعضَ أحوال القيامـة العظمـى، فقـال: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٧].

ثم ذكر مشهدَ العرضِ على الله ﷻ، واطلاعِ الناس على صحفِهم التي لا تغادرُ صغيرةً

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٤١-٣٤٢).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٧٢).
(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٦٧).

ولا كبيرةً من أعمالهم، ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٨ -٤٩]، وباستحضار مشاهد الآخرة توضع زينة الدنيا في مقامها الذي تستحقه، وينتبه الإنسان إلى قيمة الآخرة في مقابل الدنيا، **لذا كان من أعظم العواصم من الفتن: الإيمان باليوم الآخر.**

- **فتنة إبليس:**

وبعد الكلام عن هذه الفتن، وآخرها فتنة الدنيا، وذِكر زوالها واغترار الناس بها = **يأتي الكلامُ عن فتنةٍ هي أصلُ الفتن، وهي فتنةُ إبليس اللعين،** ويُذكَر بين يدي التحذير منها مشهدًا مجملًا من قصة إبائه السجودَ **لآدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتي جاءت مفصلةً في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

لكنَّ مقصدَ ذِكر القصة في هذا الموضع: بيانُ فسق إبليس وخروجه عن أمر ربه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠]، **فكيف بعد هذا التكبُّر والعصيان يُستجاب لوساوسه، ويُترك له القِياد!** بل كيف يُتخذُ وليًّا مِن دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو العدو القديم لآدم وذريته! قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠][1].

وفي هذه الآية عتابٌ لبني آدم؛ وكأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لهم: إني عاديتُ إبليسَ إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته مِن أجلكم، ثم أنتم -يا بنيه- توالونه وذريته مِن دوني وهم أعداء لكم![2]

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٧٤)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٥٠).
(٢) انظر: الجواب الكافي، ابن القيم ص(٥٦)، وطريق الهجرتين، له ص(٢٢١).



وكيف يتخذون إبليسَ وذريتَه أولياء من دون الله ﷻ وهم ما شهدوا خلق السماوات والأرض، فمِن باب أولى لم يكونوا شركاءَ لله ﷻ في الخلق، فلم يكونوا أحقاءَ بأن يُعبَدوا: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١][(١)].

ثم بعد أن بيَّن اللهُ ﷻ بطلانَ عبادتِهم وموالاتِهم مِن دونه؛ **عرَّفهم بأن هؤلاء الشركاءَ كما أنَّهم لا ينفعونهم في الدنيا فإنهم يتخلَّون عنهم في الآخرةِ أحوجَ ما يكونون إليهم،** وذَكَرَ مشهدَ هؤلاء المجرمين إذا رأوا النار؛ ترهيبًا لهم وتحذيرًا، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[الكهف: ٥٢-٥٣].

وهؤلاء المجرمون ما ضلُّوا لأنهم لم تتجلَّ لهم البيناتُ، أو لأنهم لم تأتهم الآياتُ؛ بل جاءتهم آياتُ الله ﷻ واضحةً جليَّةً لا يماري فيها عاقلٌ، أنزلها اللهُ ﷻ في كتابه الكريم، الذي أخبر اللهُ ﷻ عنه وعن حُجَجِه في الآيات التالية.

- الاعتصام بالقرآن، وحال الناس معه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

فبيَّن الله ﷻ أساس العصمة ونبراسها، وهو كتاب الله ﷻ الذي حوى أساليبَ متنوعةً وحججًا ساطعةً تخاطبُ العقلَ والوجدانَ، وتلامسُ الحِسَّ، تارةً بالوعد والوعيد، وتارةً بالقصص والأمثال، وتارة بالحوار[(٢)]، مؤكدًا ما جاء في آيات سابقة من السورة، في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]، وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩][(٣)]،

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٤٢).
(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٥٤).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٥٠).

وكلُّها آيات تُرشد إلى ركن العصمة الركين: **كتاب الله ﷻ**.

وبالرغم من ذلك فقد قابل الكفار حُجَجَه بالصُّدود والإعراض والمجادلة، لـذلك قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[الكهف: ٥٤]، وأيُّ شيءٍ أعجبُ مِن جدل هـذا الإنسان الذي لم يَنْتَهِ عن الجَدَلِ بعد هذا البيان، وهذه الحجج الساطعات الواضحات![1]

ولم يبقَ للمعرِضين بعد هذه الحُجَج إلا أن يأتيهم العذابُ، فجاء التهديـدُ والوعيـدُ بالعذابِ العاجلِ في الدنيا والآجلِ في الآخرة، فقال تعـالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾[الكهف: ٥٥].

ولما ذُكر الكتابُ وسماتُه، وذُكر حالُ المعرضين عنه المكذِّبين به، وذُكر سبب تولِّيهم عنه = **ذَكَرَ اللهُ ﷻ مهمَّةَ المرسلين بعد حديثه عن الكتاب، وهي: البشارة والنـذارة**، ومـا يتعلَّق بذلك من البيان، فقـال ﷻ: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[الكهـف: ٥٦]، فوظيفتهم بلاغ رسالة الله ﷻ إلى الناس، وليس عليهم هـداية قلوبهم، كـما قـال الله ﷻ لنبيِّه ﷺ في صدر السورة: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

وبالرغم من هذه البشارة والنذارة التي قام بها المرسلون يظلُّ هذا التكذيب وتلك المجادلة؛ يقولُ تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾[الكهف: ٥٦-٥٧]، فبيَّن اللهُ ﷻ أن هؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله ونذره لا يُرجى منهم أن يفقهوا هذا القرآن، ولا أن ينتفعوا به، فقد طَبَعَ الله ﷻ على قلوبهم بما كسبت أيديهم، فهُم لا يهتدون، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾[الكهف: ٥٧].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٨٧).



ثم لمَّا رماهم بقوارعِ التهديدِ والوعيدِ، وعلى عادة القرآن في أن يُقرَنَ الترغيبُ والترهيبُ؛ جاء التعريضُ بتذكيرهم بالمغفرة والرحمة؛ لعلهم يتفكَّرون في مرضاة الله ﷻ، فيكون ذلك سببًا في هداية قلوبهم[1]، قال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾[الكهف: ٥٨].

فالله ﷻ يُمهلهم رحمةً بهم غير نسيان، ولكنه لا يهملهم؛ بل لهم موعدٌ في الدنيا يحلُّ عليهم فيه شيء من العذاب، ثم يُوَفَّوْنَ الحسابَ في الآخرة، إن ظلُّوا على ما هم فيه وأصروا عليه، فقال الله ﷻ منبهًا إياهم لذلك، وضاربًا لهم المثل بمن سبقهم من القرى الظالمة: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٨ -٥٩].

فانتظم في هذه الآيات تذكيرُ الخلق بعظمةِ هذا القرآن، وأنه أساسُ العصمةِ مِن الفتن، ثم ذُكرت مجادلة الكفار فيه رغم وضوح آياته وبيان سبب ذلك، ثم التأكيد على وظيفة الأنبياء والمرسلين وأنها البشارة والنذارة، ثم بيَّنَتْ حالَ إعراض الكافرين عن هؤلاء المرسلين وعقوبةَ الله ﷻ العاجلةَ لهم في الدنيا بالطبع على قلوبهم مع الوعيد بالعذاب العاجل في الدنيا والآخرة، تتخلَّل ذلك إشارةٌ إلى حلمِ الله ﷻ عليهم في عدم تعجيل العذاب، وتعريضٌ بالمغفرة والرحمة؛ عساهم ينتهوا عما هم فيه من الغيِّ، ويتوبوا إلى ربهم ﷻ.

- **قصة موسى والعبد الصالح:**

نزلت سورة الكهف جوابًا على أسئلة المشركين التي نقلوها عن اليهود عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وقد سبقت الإشارة إلى أن جواب الروح قد ورد في سورة الإسراء، وتبقى الغرض الأساسي في سورة الكهف في البيان عن هاتين القصتين.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٥٦).

وبعد أن انتهت القصة الأولى وما ذُيِّلت به؛ **انتقلتُ الآيات إلى جواب السؤال الثاني عن ذي القرنين، وقُدِّمت قصةُ موسى والعبد الصالح بين يدي قصة ذي القرنين**، ولها بها شَبهٌ في أنها تطواف في الأرض لطلب نفع صالح[1]، وكذلك ما فيها مِن تعريضٍ باليهود لما قالوا لكفار قريش: إن لم يخبركم فليس بنبيٍّ، بما يوهم أن مِن شرط النبيِّ أن لا يخفى عليه شيء، مع ما يعلمون من أن موسى عليه السلام خفي عليه جميع ما فعله الخضر عليه السلام[2].

وكذلك فإن في القصة بيانًا لمكانة العلم النافع، والذي هو مِن أقوى الأسلحة وأمضاها أمام جحافل الفتن وكتائب البلاء والمحن.

كما تعرَّضت القصةُ في ثناياها إلى ثلاثة ألوان من ألوان الزينة التي صاحب التحذيرُ منها سياقَ الآيات من أول السورة، وهذه الفتن الثلاث هي: زينة الملك والسلطان، وزينة الولد، وزينة المال.

أما **زينة الملك والسلطان** فإن من الناس مَن يُؤتى السلطانُ، ولكن ما قيمته إذا كان بيد ملك غاصب؟! ومنهم مَن يُؤتى **زينةُ الولد**، ولكن ما مزيته إذا خرج الولد عاقًّا جاحدًا؟! ومن الناس مَن يُؤتى **زينةُ المال**، وما أزينَه إذا كان لعبد صالح، فيحفظه الله عز وجل عليه وعلى ذريته، كما في قصة الغلامين اليتيمين[3].

ولهذه القصة سببٌ وقع في زمن موسى عليه السلام، وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ لِي بِهِ؟**

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٥٩).

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ٩٥-٩٦).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٦٥).

فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ...»[1].

فتبدأ القصةُ في القرآن بإصرار موسى على مواصلة الرحلة مهما كلَّفه ذلك من المشقة والعناء، ومهما أمضى من وقت في سبيل هذا المقصد السامي، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾[الكهف: ٦٠]، مما يدلُّ على صدقِ عزيمته وشدةِ حرصه على طلب العلم النافع والاستزادةِ منه وصُحبةِ أهله[2]، هذا مع محلِّه مِن الله ﷻ وموضعِه مِن كرامتِه وشرفِ نبوَّته، وهذا فيه دليل على ارتفاع قدرِ العلم، وعلوِّ منزلةِ أهله، وحسنِ التواضع لمن يُلتَمس منه[3].

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١]، وهي العلامة على مكان العبد الصالح الخضر التي أعلمه الله ﷻ إيَّاها، قال النبي ﷺ: **«...فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى؛ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا.**

فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السلام قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، **قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، **قَالَ مُوسَى:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]...».

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠)، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، وسنجزِّئ الحديث على مواضعه خلال عرض الآيات.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٦٦).

(٣) انظر: الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي (ص: ١٠٦).

فحدث اللقاء بين موسى والخضر عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف: ٦٥]، قال النبي ﷺ: «...**حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ**...».

وقد كان هذا العلم الذي أُوتيه الخضر علمَ سياسةٍ خاصة غير عامة، يتعلَّق بحوادثَ معيَّنةٍ بحسب ما تهيئه الحوادثُ والأكوانُ، لا بحسب ما يناسب المصلحة العامة كما هو الحال في شريعة موسى عليه السلام[1].

وهنا يظهرُ أدبُ موسى عليه السلام، وترفقُه في طلبه، وتواضعُه في تحصيل العلم، فقال للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، ولكنَّ الخضرَ ينبِّهه قبل مصاحبته: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٧ -٦٨]، فيأخذ موسى على نفسه العهد: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]، فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠].

وبدأت الرحلة العجيبة، وفيها أحداث ثلاثة لم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر ولا يسأل الخضر عنها، ولكن الخضر أخَّر تعليلَ أفعالِه إلى أن حان وقت المفارقة في نهاية القصة، قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٧١).

فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٧١ -٧٨].

قال النبي ﷺ: «...فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[الكهف: ٧١ -٧٣].

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا ﴾[الكهف: ٧٤-٧٥]، قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾[الكهف: ٧٦-٧٧]، يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٧٧-٧٨]».

ثم شرع الخضر في توضيح هذه الأحداث الثلاثة، فأولها: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[الكهف: ٧٩]، وهنا تتجلى مشكلةٌ تتعلق بالظلمِ الاجتماعيِّ، متمثلًا في ملك ظالم ينهب الرعية ويستبيح أموالهم[(١)]، فكان في فعل الخضر ارتكاب للضرر الأدنى دفعًا للضرر الأقوى، وحماية لهؤلاء المساكين.

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٦٢).

وثانيـــها: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[الكهف: ٨٠ -٨١]، وتظهـر هنـا المشـكلة الأسريـة متمثلةً في خطرٍ هو أشد ما يهدد مستقبلَ الأسرةِ الهادئةِ الهانئةِ، وهو ما قد تُسفر عنه الأيـامُ من عقوقِ الوالدين، وكان العلم بحال هذا الولد مِن الغيب الـذي أطلـع اللهُ ﷻ عليـه الخضرَ، وإن كان والداه قد فرحا به يوم وُلِد وحزنا عليه يوم قُتل؛ إلا أنَّ الله ﷻ أراد لهما الخيرَ من حيث لا يعلمان، وقضاءُ الله للمؤمن خيرٌ مِن قضائه لنفسه.

وثالثـها: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[الكهف: ٨٢]، وتظهر في قصةِ القريةِ أزمةٌ أخلاقيةٌ، متمثِّلة في أنانيةٍ وأَثَرةٍ من أهل القرية حتى إنهم لا يُضَيِّفون عابرَ السبيلِ، ويُخشى على كنز هذين الغلامين مِن طمع هؤلاء وجشعهم، فيقـيِّضُ اللهُ ﷻ الخضرَ ليذهب ويرفع لهما جدارَهما لصلاح أبيهما رحمة مِن الله ﷻ بهما.

وبذلك تنتهي قصة موسى والخضر، والتي تجلَّت فيها -فوق ما ذكرنـا- مـؤهلات المعلِّم المُصلح لتكون نبراسًا لكل معلِّم يقرأ هذا الآيات، ومنها: العبودية لله تعالى، والرحـمة، والعلم، والإخلاص، والنصح، والبذل والإحسان.

وكذلك صفات المتعلِّم المخلص في إرادة الخير، ومنها: الصدق، وعلو الهمة، والمثـابرة، وحسن الصحبة، والتواضع، واللين، والحياء، والإيجابية[(١)].

- قصة ذي القرنين:

وبعد أن انتهت قصة موسى والخضر -وفيها طوافٌ في الأرض لطلب العلم- جـاءت قصةُ ذي القرنين، والتي سألت عنها قريشٌ رسولَ الله ﷺ ضمن ما سألوا عنه، وحاصـلُها:

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٧٧، ٣٧٨).

قصة رجل صالح طاف في الأرض لطلب الجهاد في سبيل الله ﷻ، ولعلَّ في تقديم قصة موسى والخضر على قصة ذي القرنين إشارةً إلى علوِّ درجة العلم؛ فإنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر بما فيه الجهاد في سبيل الله ﷻ[1].

فموسى عليه السلام طاف في الأرض طلبًا للعلم النافع، والخضر طاف بأمر الله حاملًا راية الإصلاح والتغيير، وذو القرنين طاف بجنده لينشر العدالة في ربوع الأرض، ويبلِّغ دعوة الحق، ويصحح المفاهيم، ويقيم الموازين القسط[2].

قال الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ -٨٥]، فالله ﷻ قد مكَّن له في الأرض، ووهبه أسبابَ النصر والتمكين، فأحسن استغلال ذلك، وعمل بما رزقه الله ﷻ إياه.

وذِكرُه الذي أوحاه الله ﷻ إلى نبيه ﷺ حاصلُه ثلاث رحلات في سبيل الله ﷻ قام بها ذو القرنين.

أما الرحلة الأولى فإلى المغرب:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٦ -٨٩].

فكان أن خُيِّر في شأنهم، فكان حكمًا مقسطًا عادلًا، فلم يسوِّ بين المصلِح والمفسِد، وهذا هو دستور الحكم الصالح؛ فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء[3].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ١٢٨).
(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٨١، ٣٨٢).
(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٩١).

ثم جاءت الرحلة الثانية إلى أقصى الشرق: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[الكهف: ٩٠ -٩٢]، فوجد في أقصى الشرق أناسًا ليس لهم ما يسترهم، لا مِن البيوت ولا مِن اللباس، فحكم فيهم بعدله الذي ذكره في رحلته السابقة، ولم يتكرَّر بيانه هنا لأنه معروف قبلُ[1].

وتكرار عبارة ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ دالٌّ على حرص ذي القرنين على الأخذ بالأسباب، واجتهاده في تحصيلها وتطويرها[2].

ثم كانت الرحلة الثالثة إلى مكان آخر ذكر الله ﷻ في صفته أنه بين سَدَّين:

قال ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[الكهف: ٩٣ -٩٤]، فكأنهم كانوا يتكلمون بلُغةٍ أخرى غير لغة ذي القرنين، وطلبوا منه أن يبنيَ سدًّا يحجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج الذين آذوهم أشد الإيذاء، وعَرضوا عليه مقابلًا لهذا العمل.

ولكنه أجابهم إلى مطلبهم دون مقابل، بل قال: ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[الكهف: ٩٥]، **فهو عفيفُ النفس، صاحبُ رسالة إصلاح**، ولا يطمح إلى أعراض الدنيا الزائلة، فلم يستغلَّ حاجتهم في تجريدهم من أموالهم وثرواتهم[3]، وطلب منهم أن يُعينوه بقوة من العُمال والآلات اللازمة في بناء السد.

ثم تذكر الآيات طرفًا مما أوتيه مِن علم في البناء، وكيف أحسن في بناء هذا الردم، فقال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[الكهف: ٩٦ -٩٧].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٩٢).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٨٧).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٨٨، ٣٨٩).

ثم نسب الفضل في ذلك إلى الله ﷻ، متواضعًا لعظمة الله تبارك وتعالى، ومتبرئًا من قوته إلى قوة الله ﷻ، ومشيرًا إلى مدة انتهاء صلاحية هـذا الردم وذلك عند تحقق الوعد الإلهي[1]، فقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

وبذلك ينتهي ذكر قصة ذي القرنين في القرآن الكريم، والذي ابتلاه الله ﷻ بالملك والسلطان، فاتقى الله ﷻ فيه، وأحسن العمل.

- من ملامح التعامل مع فتنة المُلك في قصة ذي القرنين:

وتتجلَّى في قصة ذي القرنين بعضُ ملامح التعامل مع فتنة الملك والسلطان في قصة ذي القرنين، منها: عدم البطر والتكبُّر بما آتاه الله من مُلك، والتواضع لعظمـة الله ﷻ ونسبة الفضل إليه، وإقامة العدل والقسط بين الناس، ورحمة الخلق وعدم استغلال حاجـاتهم، وعفة النفس، والخبرة بطرق الصناعة والسياسة، والأخذ بالأسباب بعد التوكل على الله ﷻ.

- **خاتمة السورة:**

ينتهي ذكرُ قصةِ ذي القرنين ببيانِه أنَّ هذا الردمَ سيكون دكاء إذا جاء وعـد الله ﷻ، ثم تنتقل الآيات في خاتمة السورة بعرض بعض مشاهد هذا الوعد الحق وذكر الـنفخ في الصور، وبعض مشاهد يوم القيامة.

وينتظم ما بعدها مع محور السورة؛ ليمثل ختامًا لكل ما سبق من بيان أنواع الفـتن، وسُبل الوقاية منها، فجاء ذكرُ**جزاءِ المخدوعين المفتونين الذين انقادوا للأهواء فغرقوا في خضم الفتن**، وفي مقابلِهم يأتي **ذكرُ عاقبة مَن عصمهم الله ﷻ ونجَّاهم من الفتن**.

ثم تُختم بما بدأت به السورة بالحديث عن **كلمات الله ﷻ التي لا يحصيها عدد، والتي هي عنوان العصمة من الفتن**، ثم التذكير **بطريق العصمة من الفتن** والنجاة والفوز والرضوان.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٩٣)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٩٠).

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ٩٩ -١٠٢]، فتُعرض عليهم جهنم فلا يُعرِضون عنها كما كانوا يُعرِضون عن ذكر الله ﷻ في الدنيا، فما يستطيعون اليوم إعراضًا[1].

ثم يذكر الله ﷻ حالَهم في الدنيا حيث كانوا في غفلة وإعراض عن النظر في آيات الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[الكهف: ٩٩ -١٠٢].

ثم تُختم السورة بثلاثة مقاطع تلخص موضوعات السورة الرئيسية، يبدأ كل منها بـ﴿قُلْ﴾:

الأول منها: في الخبر عن أسرى فتنة الأهواء، الذين يُعجَبُون بما هم عليه من ضلال وزيغ، ويتعصبون لباطلهم لموافقته هواهم وإن خالف الأدلة الشرعية والفطرة النقية[2]، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ -١٠٥].

و﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٤] **على ثلاثة أصناف**: الكفار بالله واليوم الآخر، وأهل التأويل الفاسد والبدع المنحرفة، والذين أفسدوا أعمالهم بالرياء، فكل هؤلاء داخلون في هذا الوصف[3].

ثم ذكر الله ﷻ مصيرهم، فقال: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٦].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٩٤).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤/ ٣٩٧).

(٣) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي (٥/ ٣٥٨).



ثم ذكر الله ﷻ في مقابلهم حال الإيمان الذين اعتصموا بالله ﷻ من الفتن، فأنجاهم الله ﷻ منها، وجازاهم على أعمالهم خير جزاء، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف: ١٠٧].

وبعد ما حوته تلك الجنات من ضروب اللذات ما تتطلع إليه النفوس إليه؛ فإنهم لا يودُّون مفارقة ما هم فيه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهف: ١٠٨]، فلا يورث طولُ الإقامة سآمةً في قلوبهم، بل هم في غاية الرضى بالجنة، ولا يشتهي أحدٌ منهم غيرَ ما عنده سواء أكان في الفردوس أم فيما دونه[١].

ثم يأتي المقطع الثاني: عن كلام الله ﷻ الذي لا منتهى له، فكلماتُ الله ﷻ بحر لا ساحل له، ودُرره وعطاءاته لا تُحصَى ولا تنتهي، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩][٢].

وقد بدأت السورةُ بحمد الله ﷻ على إنزال القرآن الكريم على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ، هذا الكتابُ الذي جعله الله ﷻ عصمةً للناس من الفتن، ثم عدّدت السورة قصصًا

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/ ١٥٠).

(٢) تنبيه: ذكر بعض المفسرين قصة في سبب نزول هذه الآية رواها الترمذي (٣١٤٠) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، والنسائي في الكبرى (١١٣١٤) كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة ومَن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾[الكهف: ١٠٩].

وقد أورده البغوي كسبب لنزول الآية [معالم التنزيل (٣/ ١٨٦)]، والقرطبي [الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٦٨، ٦٩)]، وابن عاشور [التحرير والتنوير (١٦/ ٥٢)].

وقد يُعترض على اعتباره سببًا لنزول الآية عدم موافقته لسياق القرآن، وإعراض كثير من المفسرين عن ذكره. انظر: «المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة»، د. خالد المزيني (١/ ٦٨٥-٦٨٦) السبب: (١١٦) - سورة الكهف.

ومشاهد وأوامر ونواهيَ وبشارات ونذارات، **لتُختم في النهاية بالتذكير بأن كل هذا قليل من عظيم علم الله تعالى**[1].

ثم تُختَم بالمقطع الثالث: وفيه أمرٌ للنبي ﷺ أن يُعلمهم بطبيعته وأنه بشرٌ مثلهم، وبيان لمهمته ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[الكهف: ١١٠]، وهذا تأكيدٌ لما جاء في أول السورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف: ٦].

والله ﷻ الذي وسعت كلماته السماوات والأرض لا يُعجزه أن يُوحِيَ إلى رسوله بعلم كل ما يُسأل عن الإخبار به، ولكنَّه ﷻ يُعلِمهم أنه لم يبعث النبي ﷺ للإخبار عن الحوادث الماضية والقرون الخالية فحسب، ولا أن مِن مقتضى الرسالة أن يحيط علم الرسول بالأشياء فيتصدى للإجابة عن أسئلة تلقى إليه؛ ولكنه بشرٌ عِلْمُه كعلمِ البشر، أوحى الله ﷻ إليه بما شاء إبلاغه عباده من التوحيد والشريعة، ولا علم له إلا ما علمه ربه ﷻ[2].

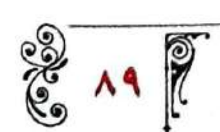
ثم يُذكَر طريقُ النجاة في بيانٍ موجز بليغ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فوقعت الإجابة لقريش عن أسئلتهم التي نقلوها عن بني إسرائيل، مع بيان العبر في كل قصة سألوا عنها، مع ذكر قصص أخرى يتجلى فيها الاختبار بزينة الدنيا التي أخبرالله ﷻ في أول السورة أنه جعلها ابتلاء واختبارًا للناس في هذه الدنيا، يتخلَّل ذلك تقريرُ قضايا الاعتقاد وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وعصمتهم من الفتن، مصدَّرة ومختَتمة بالتأكيد على عظمة القرآن وكلمات الله ﷻ، فمنها هذه الآيات التي ترشد العباد إلى العصمة من الفتن، وفيه النجاة لكل من أراد النجاة، والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٥١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٥٤-٥٥).





سورة الكهف ويوم الجمعة:

إذا عدنا للنظر في قصة أصحاب الكهف فسنجد فتيةً أنجاهم الله ﷻ من فتنةِ الشباب وفتنةِ الأهل والعشيرة، وكذا من فتنةِ السلطان إذ ذُكر أنهم كانوا من أبناء علية القوم، وقصَّت الآيات كيف نجوا من هذه الفتن، وأَجْلَت عن أسباب هذه العصمة.

ثم إذا نظرنا في قصة ذي القرنين فسنجد ملكًا صالحًا أنجاه الله ﷻ من فتنة السلطان والمُلك، ومن فتنة المال، ومن فتنة التسلط على رقاب الخلق، فاعتصم بالله ﷻ واتقاه.

إذن فالقصتان تسردان مشهدين من مشاهد البشرية تعرَّض فيها أهل الإيمان لأصناف مختلفة من الفتن، فأخذوا بأسباب العصمة منها فأنجاهم الله ﷻ.

ثم بالنظر إلى ما بين القصتين، وما ورد في خاتمة السورة؛ نجد مشاهدَ أخرى تعرض بعض الفتن التي يتعرض لها الإنسان، مع بيان سبل النجاة وأسباب العصمة، ففتنة المال والاغترار بالدنيا الفانية في قصة صاحب الجنتين، وفتنة إبليس -أصل الفتن- في الإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفتنة العلم في قصة موسى مع العبد الصالح، ثم في ثنايا هذه القصة فتنة السلطان في قصة السفينة، وفتنة الولد في قصة الغلام، وفتنة المال في قصة الجدار.

وفي خاتمة السورة ذكر فتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء التي تجعل الإنسان يعمل في هذه الدنيا بهواه وهو يحسب أنه يُحسن صنعًا، ويتخلَّل ذلك إشارات إلى سبل العصمة من أصناف شتى من الفتن.

فالسورة من أوَّلها إلى آخرها تناقش قضية الفتن، وتستعرض أنواعها في مشاهد القصص -وهذا هو الغالب- أو في توجيهات مباشرة أو غير مباشرة، وتعرض سبل العصمة من هذه الفتنة، والحصون التي يأوي إليها من رام النجاة والعصمة في هذه الدنيا.

ولا عجبَ إذن **أن تبدأ بذكر نعمة إنزال الكتاب**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ

وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[الكهف: ١]، ففيه العصمةُ والنجاةُ لكل من استمسك به، وهذه عصمةٌ إجماليةٌ من الفتن، ثم يأتي التفصيل بعد ذلك في آيات السورة كما أشرنا من قبل.

ولعلَّ هذا مِن معنى ما ورد في فضل قراءتها يوم الجمعة؛ أن من قرأها أُعطي نورًا من حيث قرأها بينه وبين مكة، وأضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق[1]، فلعل من هذا النور نور البصيرة ونبراس الهدى الذي يُبصر به الإنسان مواطن قدميه ويفتح به مغاليق الفتن، فتكون هذه السورة عصمة لقارئها ومتدبرها من الجمعة إلى الجمعة، تذكِّره بالفتن التي يمر بها في عمره وسبل الوقاية منها، والله تعالى أعلم بمراده.



(١) انظر: «مبحث السور التي ثبت تخصيص يوم الجمعة بها» ص(٤٠-٤١).

الفصل الثاني



سورة (ق)

المبحث الأول: التعريف بسورة ق.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة ق.





المبحث الأول:



التعريف بسورة ق

١) تسمية السورة:

- سورة ق:

سُمِّيت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد وردت هـذه التسـمية في كلام الصحابة، مِن ذلك: قول ابن عباس: (نزلت سورة ق بمكة)[١].

ووجه التسمية: افتتاح السورة بهذا الحرف في قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[ق: ١].

- سورة ق والقرآن المجيد:

وردت في كلام بعض الصحابة في عدد من الآثار، منها: حديث أم هشام بنت حارثة ابن النعمان رضي الله عنها، وفيه: (وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا عن لسـان رسـول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس)[٢].

ووجه التسمية: افتتاح السورة بها.

- سورة الباسقات:

سماها بذلك السخاوي[٣].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٧/ ٥٨٧)، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٢) رواه مسلم (٨٧٣) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة، وقد سبق.

(٣) جمال القراء (١/ ٣٧).

والسخاوي: هو علم الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي، المقرئ المفسر النحويّ، شيخ القراء بدمشق في زمانه، ولد سنة ٥٥٨هـ، وله عدة تصانيف منها: «شرح الشاطبية» في مجلدين، و«جمال القراء»، و«منير الدياجي في الآداب»، وتوفي سنة ٦٤٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٦/ ٣٤٩)، وطبقات المفسرين، للداودي (١/ ٤٢٩).

والسيوطي في الإتقان[1].

ووردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير، كتفسير ابن الجوزي[2] والآلوسي[3] وغيرهما.

ووجه التسمية: ورود لفظ الباسقات فيها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ [ق: ١٠].

٢) فضائل السورة:

- **ما ورد عن النبي ﷺ في قرءاتها في صلاة العيد:**

عن أبي واقد الليثي، قال: سألني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمَّا قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد، فقلت: بـ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾، و﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[4].

- **وما ورد في قراءتها في صلاة الفجر:**

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾، وكان صلاته بعدُ تخفيفًا[5].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧٤)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٢) زاد المسير (٨/ ٣).

وابن الجوزي: هو العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الحنبلي، من نسل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان يحضر مجلسه مئاتُ الدارسين، له مصنفات كثيرة بلغت ٢٥٠ مصنَّفًا، منها تفسيره: «زاد المسير في علم التفسير»، ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٨).

(٣) روح المعاني (٢٦/ ١٧٠)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٤) رواه مسلم (٨٩١) كتاب صلاة العيدين، باب ما يُقرأ في صلاة العيدين.

(٥) رواه مسلم (٤٥٨) كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح.

- **بالإضافة لما ورد في تخصيص قراءتها على منبره الشريف ﷺ يوم الجمعة:**

فيما رواه مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها[1].

٣) عدد آيات السورة:

أربعون وخمس آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف[2].

٤) زمن النزول:

سورة ق مكية كلها، قال ابن عطية رحمه الله: (بإجماع من المتأوِّلين)[3].

ونقل القرطبي رحمه الله[4] عن ابن عباس وقتادة استثناء آية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨][5]؛ باعتبار أن فيها ردًّا على مقالة اليهود أنَّ الله ﷻ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، على اعتبار أن هذه المقالة قد سُمعت بالمدينة، **وأُجيب على ذلك** بأنه لا يقتضي أن يكون نزول الآية في المدينة.

قال ابن عاشور[6]: (وهذا المعنى وإن كان معنًى دقيقًا في الآية؛ فليس بالذي يقتضي

---

(١) وقد سبق، «انظر: فصل السور التي خُص بها يوم الجمعة» ص(٤١).

(٢) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٣١).

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥/ ١٥٥).
ولم يذكرها السيوطي في «الإتقان» في السور المختلف فيها. [انظر: «الإتقان في علوم القرآن» - فصل في تحرير السور المختلف فيها (١/ ٣٠، وما بعدها).

(٤) القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي، الأنصاري، الخزرجي، المالكي، من العلماء الورعين الزاهدين، كتابه في التفسير: «الجامع لأحكام القرآن» من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، وتوفي سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين (٢/ ٦٧١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ١).

(٦) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، وهو من أعضاء المَجْمَعين العربيين في دمشق والقاهرة، ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ، ومن مصنفاته تفسيره النفيس: «التحرير والتنوير»، و«مقاصد الشريعة الإسلامية». انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ١٧٤).

أن يكون نزول الآية في المدينة؛ فإن الله عَلِم ذلك، فأوحى به إلى رسوله ﷺ.

على أن بعض آراء اليهود كان مما يَتحدث به أهلُ مكة قبل الإسلام يتلقَّونه تلقِّي القصص والأخبار، وكانوا بعد البعثة يسألون اليهود عن أمر النبوءة والأنبياء، على أن إرادة الله إبطال أوهام اليهود لا تقتضي أن يؤخر إبطالها إلى سماعها؛ بل قد يجيء ما يبطلها قبل فشوِّها في الناس)[1].

٥) محور السورة:

تتجلَّى في سورة ق مشاهدُ القيامة، بدءًا من سكرة الموت، مرورًا بمشهد الحساب والجزاء، وانتهاءً بالمصير الخالد لكل مِن الفريقين: أهل الكفر وأهل الإيمان.

تأتي هذه المشاهد في سياق الرد على منكري البعث المكذِّبين به، وإقامة الحجج العقلية والنقلية عليهم، مشفوعةً ببيان مصير أمثالهِم مِن المكذِّبين مِن الأمم السابقة، مختتمةً بتسلية النبي ﷺ الذي يتلقى هذا التكذيب والإفك من المكذِّبين بالبعث والدار الآخرة.

وتتجلَّى مظاهر قوة الله ﷻ وقدرته وقهره في كل مشهدٍ من مشاهد السورة، وفي كل حُجَّة يُقيمها ﷻ على خلقه في هذه السورة الجليلة، مما يجعل لها طابعًا خاصًّا تتميَّز به عما سواها من السور التي تتعرَّض لنفس القضايا.

ومن خلال النظر فيما كُتب في مقاصد هذه السورة الكريمة، وبعد دراسة آياتها ومحاولة استنباط الخِصِّيصة التي اختصَّ بها عرضُ هذه القضايا في هذه السورة؛ تبيَّن أن محور السورة: **إقامة البراهين على البعث بعد الموت، وتجلية مظاهر القدرة والقهر في مشاهد الآخرة**، والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٧٤).





المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة ق

قراءة إجمالية لسورة ق:

يستفتح السورةَ ذكرُ تكذيبِ الكفارِ بالبعث بعد الموت، وتعجبِهم منه، ثم يعقب ذلك ذكرُ البراهين على البعث مِن آيات الكون في خلق السماء والأرض، وما فيهما من آيات بيِّناتٍ على علم الله ﷻ وقدرته وحكمته.

ثم بعد إقامة هذه الحُجج العقلية يأتي التحذيرُ والتهديدُ مِن مصير المكذِّبين من الأُمم السابقة، والإخبارُ عمَّا وقع بهم من عذاب الله ﷻ لما كذَّبوا الرسلَ، فحق عليهم وعيدُ الله تبارك وتعالى.

ثم تلتحمُ الآياتُ في وصف مشاهد البعث وما يحيط به، في صورةٍ هائلةٍ تزلزل القلوب؛ تبدأ بتقرير علمِ الله ﷻ وقُربه من الإنسان، وإحصائه عليه أعمالَه، ثم مشهد الموت، يعقبُه النفخ في الصور والبعث يوم القيامة ومشهد الحساب، مع ذكر مصير هؤلاء المكذِّبين وصفاتهم التي استحقوا عليها هذا المصير، وفي مقابل ذلك ذكر مصير المتقين ووعد الله ﷻ لهم، وصفاتهم التي أهَّلتهم لهذا الوعد.

ثم خُتمت السورةُ بآياتٍ جامعةٍ أُعيدت فيها المشاهد السابقة بإيجاز: ذكرُ إهلاك الأمم المكذِّبة، ومشهد البعث والقيامة، وآيات الله ﷻ في الكون، تتخلَّلها تسليةُ النبي ﷺ والوصية له بالصبر والأخذ بالأسباب المعينة عليه، والتذكير بالقرآن الكريم الذي هو مصدر هذه البراهين، والذي افتُتحت السورةُ بالقسم به.

من هدايات سورة سورة ق:

- **فاتحة السورة:**

تبدأ السورة بالحرف ﴿قٓ﴾[ق: ١]، وهي السورة الوحيدة من السور المفتَتحة بـالحروف المقطعة والتي تبدأ بهذا الحرف، وهو حرفٌ من الحروف التي يتألَّف منها كلام العـربِ، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي نزل بلسانهم وبحروفهم.

ولذلك جاء بعدها القسمُ بالقرآن الموصوف بالمَجْـد ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[ق: ١]، كـما هي العادة في أكثر السور المفتَتحة بالحروف المقطعة من التنويه بشأن القرآن، وفي القَسـم بالقرآن تنبيه وإرشاد إلى المصدر الأصيل في تلقِّي البراهين والأدلـة فيما سيُبسط في آيات السورة[١].

- **تكذيب الكافرين:**

وبعد القسم بالقرآن تنقلُنا الآياتُ إلى هذا المشهد المكيِّ المتكرِّر، والمتمثِّل في تكذيبِ الكافرين ببعثة النبي ﷺ وبـالقرآن: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٞ﴾[ق: ٢ -٣]، فوقع تعجبُهم وتكذيبُهم لشيئين:

الأول: **تعجَّبوا مِن بعثة النبي ﷺ**، وعجبوا لأمرين: مطلق الإنذار، وأن يكون المنـذرُ بشرًا مثلهم، رغم أن كونَه منهم أدعى لقبول رسالته ونذراته.

والثاني: العَجبُ من البَعث بعد الموت، ورأوا في صيرورة الإنسان إلى تـرابٍ حجـةً في إثبات دعواهم؛ فكيف للتراب أن يرجع مرة أخرى؟! فجاء الردُّ عليهم بإقامـة البراهـين العظمى على البعث بعد الموت.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٧/ ٣٩١-٣٩٣).

- **براهين البعث الثلاثة في السورة:**

لَّما كان أصل شبهتهم في إنكار البعث راجعًا إلى استبعاد أن يُجمَع هذا التراب المتناثر ليُحيَى من جديد؛ كان اجتثاثُ شبهتهم من جذورِها بإثبات صفة العلم لله ﷻ أولًا؛ فالذي وَسِع علمُه كلَّ شيء قد عَلِم ما نقصت الأرضُ مِن أجسادهم.

ثم لا بدَّ لصاحب العلم مِن قدرة على هذه الإعادة بعد الموت، لذلك كان إثباتُ صفة القدرة حجةً عليهم في رد شبهتهم.

ثم تأتي صفةُ الحكمةِ لتُثبت لكلِّ مَن أقرَّ بها أن صاحبَ الحكمة لا يدعُ الخلقَ سدًى، وأن هذه الدار التي يعمل فيها الصالحُ والطالحُ والمؤمنُ والفاجرُ لا يمكن أن تمثِّل -بفناءِ أهلِها- المشهدَ الأخيرَ؛ فإن الحكمة تقتضي ألا يكون هذا هو المشهد الأخير؛ بل لا بدَّ من دار حساب وجزاء؛ حتى يلاقيَ كلُّ عاملٍ جزاءَ عمله.

فهذه الصفات الثلاثة -العلم والقدرة والحكمة- من أقوى البراهين على البعث بعد الموت، وقد تكرَّر تقريرها في القرآن في مواضعَ عدةٍ في مقام إثبات البعث، والناظر في الآيات الكونية المذكورة في هذه السورة يجدها واضحة جلية.

- **تفصيل البراهين الثلاثة:**

يأتي إثبات علم الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤] في استفتاح بديعٍ لهذه البراهين؛ فإن تقديم القدرة دون إثبات العلم أولًا لا يجتثُّ جَذْرَ الشبهةِ التي أثاروها.

ثم جاء تأكيد هذا العلم بتوثيقه في كتاب حفيظ، والذي ينقل القلوب إلى صفة الحكمة؛ فالذي يَعلم ويُحصي على عباده كل صغير وكبير لن يتركهم سُدًى، بل لا بدَّ من حساب وجزاء، وإن كان ثمَّ حسابٌ فثمَّ بعثٌ!

ثم ترسم الآيات صورةً بديعةً من مخلوقات الله ﷻ في الكون والتي تتجلَّى فيها البراهين

الثلاثة: العلم والقدرة والحكمة:

فبناءُ السماء وزينتُها دليلٌ على كمال العلم وكمال القدرة، وما في السماء من زينـةٍ ينتفـع بها بنو آدم بسنن الله تعالى في الأفلاك من أجلى الأدلة على حكمة خالق هذه الأفلاك.

ومدُّ الأرض وإرساءُ الجبال فيها وإخراجُ النبات منها كلُّها أدلةٌ على كمال علم خالقها وقدرته وحكمته في مدِّ الأرض لتُناسِبَ ساكنيها، وتثبيتُها بإرساء الجبال لئلا تميدَ بأهلهـا، وإخراجُ النبات منها الذي يحتاجه ساكنوها مِن الإنس والدواب.

وبعد ذكر آيات السماء وآيات الأرض تأتي آيةٌ تصل السماءَ بالأرض؛ إنها آية نزول المطر: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[ق: ٩ -١١].

ومع ما في هذه الآية من دلائلَ باهراتٍ على البراهين الثلاثة؛ فإنَّ في ذاتها دليلًا على البعث بعـد الموت، فكما ينبت هـذا النبات من الأرض، وكما تحيـا الأرض بعـد موتهـا؛ فـ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[ق: ١١].

- **مآل الأمم المكذِّبة:**

ولمَّا ذكر اللهُ تعالى حقيقة أمر هؤلاء المكذبين، وأنهم ﴿كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[ق: ٥]؛ جاءَ التذكير بنهاية المكذِّبين أمثـالهم من الأمم السابقة؛ لتكون لهم عـبرةً وعظةً، فهم ليسوا أول من كذَّب الرُّسل، فعليهم أن ينظروا في عاقبة سابقيهم[1].

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [ق: ١٢ -١٤]، ثم خُتِمَ ذكرُهم بذكرِ الأمرِ الجامعِ لاستحقاق كلِّ هؤلاء العقـوبةَ الناجزةَ والآجلةَ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[ق: ١٤]، فإن كان المكـذبون بـالنبي

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٧/ ٤٠٥).

-محمد ﷺ- قد ﴿كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وأصرُّوا على ذلك؛ فقد حقَّ عليهم الوعيد كما حقَّ على مَن سبقهم ممن يتساوى معهم فيما يوجب الإيمان.

وكذلك فيه تسلية للنبي ﷺ الذي يواجهونه بالتكذيب والافتراء[1]؛ فها هي الحُجج البيِّنات مسوقةٌ إليهم حتى تجلَّى الحق وبلغ حدًّا لا خفاءَ معه، حتى تبيَّن أن تكذيبَ من كذَّب هو مِن باب العناد والكبر[2]، فجاء ذكرُ مصير الأمم المكذِّبين رسلَهم تسليةً للنبي ﷺ مما يجد من صدٍّ وعنادٍ واستكبارٍ.

ثم بعد أن عُرضت الحُججُ من صفحات الكون ومن صفحات التاريخ البشري[3] خُتِم هذا المقطع بدليل عقلي مُفحِم؛ فهم يُقرُّون أن الله ﷻ هو الذي خَلَق الخَلْقَ الأول، وأنه لم يعيَ بذلك، ويعلمون أيضًا أن الخلقَ الأولَ للأشياء أعظم من إعادة خلق الأموات، ومع ذلك فهم غارقون في لَبْس شديد أغشى إدراكهم: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[ق: ١٥]، ووصفُه بالخلق الجديد كأنهم يُقال لهم: اجعلوه خلقًا جديدًا كالخلق الأول! وأي فارق بينهما؟![4]

- **عرضٌ آخر للبراهين الثلاثة:**

ثم تنتقل الآيات بسامعها إلى رحلة الإنسان من خلقه إلى موته بسكراته، ثم مشهد الحساب وعرض السجلات، ثم المصير النهائي إمَّا في نار وإمَّا في جنة؛ كل ذلك في رحلة واحدة متصلة بلا توقف، الإنسان من أولها إلى آخرها تحت رقابة الله ﷻ، لا يتملَّص ولا يتفلَّت[5].

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٥/ ٧٣)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٦٩).

(٢) انظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي (١٨/ ٤١٤).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٣٦١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٩٨).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٣٦٢).

تبدأ الآيات بداية جديدة فيها ذكر الخلق الأول المذكور في الآية السابقة: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]، فيُخبر الله ﷻ عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [ق: ١٦]، ثم هو يعلـمُ أدق ما يتعلق بـه ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، لترتـبط القـدرة في ﴿خَلَقْنَا﴾ بالعلم في ﴿وَنَعْلَمُ﴾.

فجاء ذكر الخلق تتميمًا للاحتجاج بصفة القدرة المبسوط بعض مظاهرها في الآيات السابقة، وجاء ذكر علم ما توسوس به نفوس العباد تتميمًا لصفة العلم في قولـه تعـالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾[ق: ٤][1]، وفي كلا الصفتين دليلٌ بيِّنٌ علـى البعث بعد الموت.

وتبقت ثالثة البراهين: صفة الحكمة، التي ينقلُنا إليها توثيـقُ المعلومِ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٧ -١٨]، لتنتظم البراهين الثلاثة متمثلة في الصفات الثلاث من مشهد الخلق حتى مشهد المستقر؛ جنة أم نار!

فصفة العلم: تتجلَّى في علم الله ﷻ بكل ما بدر من الإنسان، وإحصائه عليه، وقربه منه.

وصفة القدرة: تتجلَّى في كل كلمة في الآيات، فهذا الإنسان تحت قدرة ربِّه وقهره في كل مشاهده.

وصفة الحكمة: فمن تمام حكمة العليم القدير ألَّا يتركَ خلقَه سُدًى، وألا يُنعم عليهم بما يقيم أبدانهم ثم هو لا يدلُّهم على مايسعدهم في الدنيا والآخرة[2]، وكذلك مـن حكمتـه ألَّا يسوِّي بين المحسنِ الذي علم إحسانه، والمسيءِ الذي علم إساءته، وكلاهما تحت قهره وقدرته.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٩٩).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٧/ ٤١٢).

- **من مشاهد الآخرة وصفات الهالكين:**

تبدأ مشاهدُ الآخرة بذكر الموت، والذي يُمثِّل النقلة لدار الجزاء الذي ينكرونه، يقول تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: ١٩ -٢١].

ولما كان الموتُ مفتاحَ الغيب، لكنه يفتحُه للإنسان في وقتٍ لا ينفع فيه إيمان بعد كفر؛ كشفت الآيات عن حقيقة غفلة الإنسان عن الموت وحقيقته وهو في هذه الحياة الدنيا ثم انكشاف الحقائق له حال موته: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

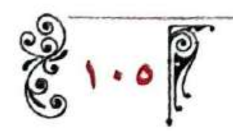
ثم تنتقل الآيات إلى مشهد من مشاهد الحساب الشديدة، والتي تُعدَّدُ فيها صفات الهالكين: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[ق: ٢٣ - ٢٦].

فهو **كفَّارٌ** شديد الكفر، **عنيدٌ** مكابرٌ لا يقبل الحق ويصر على باطله، **منَّاعٌ للخير** بصدِّه عن سبيل الله ومنعه المال عن الفقراء، **معتدٍ** لم يكتفِ بالباطل في نفسه بل اعتدى على الخلق واعتدى على حدود ربه، **مريبٌ** لم يكتفِ بالريب في نفسه بل أراب غيره بما ألقاه من مغالطات وشكوك[1].

وجماع شرِّه أن ﴿جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فاستحقَّ وعيدَ ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٣ - ٢٦].

ثم يُعرَض مشهدٌ شديدٌ مِن مشاهد الحساب عندما يتبرَّأ القرينُ من قرينه: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[ق: ٢٧]، ولكن أنَّى لهذا التبرؤ أن ينفعَ صاحبه أو يُنجيه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٣١٢).



من مصيره كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[البقرة: ١٦٦].

فيأتي الجواب القاطع: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٨ -٢٩]، فلا جدوى من ذلك التخاصم؛ فاستواء الفريقين في الكفر كافٍ في مؤاخذة كليهما على السواء[1].

ثم يُختم مشهدُ الوعيد بقول الله ﷻ لجهنم: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق: ٣٠]، الذي يهزُّ القلوب بما فيه من تنبيه لأهل العذاب لهذا السؤال ولوازمه.

- **أحوال المتقين في الآخرة، وصفاتهم:**

وقد جرت طريقة القرآن في أن يُقرَن ذكرُ النعيم بذكرِ العذاب، وجزاءُ الأبرار بجزاءِ الفجار؛ ليجتمعَ الترغيب والترهيب، وليتجلَّى المعنى في كليهما بالمقابلة، وبضدِّها تتبين الأشياء.

وفي هذا الموضع وبعد أن ذكر الله ﷻ أحوال الكفار وأفعالهم التي جعلَتْهم أهل استحقاق لهذا الوعيد = ذكر اللهُ ﷻ ما أعدَّه للمتقين مِن النعيم المقيم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

وكما ذكر الله ﷻ من صفات الكافرين التي استحقوا بها هذا الوعيد الشديد؛ ذكر من صفات هؤلاء المتقين التي كانت سببًا في هذا الوعد العظيم مِن الربِّ الكريمِ، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[ق: ٣٢ -٣٣].

فهو أوَّابٌ لا يكاد يقع في ذنب أو تزل قدمه حتى يؤوبَ إلى ربِّه، وهو حفيظٌ لحدود الله ﷻ وحقوقه وأوامره ونواهيه، وكذلك فإنه يخشى الرحمن ﷻ على الغيب، فتسوقه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٣١٥).

هذه الخشية إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة.

وخُتمت أوصافه بأنه ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾، فهو منيب في الدنيا، ثم قد حضر يوم القيامة مصاحبًا قلبَه المنيبَ إلى الله ﷻ، أي: مات موصوفًا بالإنابة ولم يُبطل عمله في آخر حياته[1].

فذكر الله جزاءَهم وهو الجنة، وذكر إكرامَهم بإزلاف الجنة لهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ق: ٣١]، ثم ذكر أعمالهم التي استحقوا بها هذا الفضل العظيم، ثم بالغ في إكرامهم في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٣ - ٣٥].

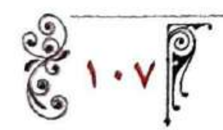
- **المشهد الأخير:**

تعرَّضت السورة لذكر تكذيب الكافرين بالنبي ﷺ وبالبعث بعد الموت، وأقامت الحُجج عليهم بذكر براهين صدق النبي ﷺ وما جاء به مِن خبر البعث والقيامة، وحذَّرتهم مِن مصير السابقين ممَّن كذَّبوا كتكذيبهم فنزل عليهم العذابُ والنكالُ في الدنيا قبل الآخرة، ثم استعرضت السورة مشاهدَ مخيفةً من أهوال القيامة، وذكرت جزاءَ الكافرين مع ذكر بعض أعمالهم التي استحقُّوا بها هذا العذابَ، ثم في مقابل ذلك جزاء المتقين وأعمالهم.

ثم جاءت الآياتُ الأخيرةُ تلخِّص مشاهد السورة وتعيدُها في لمس سريع[2]، وتوجِّه النبي ﷺ لما يتوجَّب عليه فعلُه إزاء كفرهم وعنادهم وصدِّهم عن سبيل الله ﷻ.

قد ذُكرت مصارعُ المكذبين من الأمم المكذبة مع تسمية بعضهم في آيات سابقة [١٢-١٤]، فجاء في خاتمة السورة تذكيرٌ مجمَلٌ بمصارع السابقين: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[ق: ٣٦].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٣٢٠).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٣٦٦).



ولَمَّا كانت هذه الآيات أمام ناظريهم ولا ينتفع بها إلا صاحب القلب الحيِّ؛ أخبر تعالى عن حال المنتفِع بهذه الذكرى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقد استعرضت السورة في أولها بعض مشاهد الكون الدالة على وحدانية الله ﷻ وعلمه وقدرته وحكمته، مع الإشارة إلى ما يلزم مِن ذلك مِن موقفِ حسابٍ يُجازَى فيه المحسنُ على إحسانه والمسيءُ على إساءته، في الآيات [٦-١١] و[١٥-١٦]، ثم في خاتمتها جاءت إشارة موجزة من الكون المفتوح أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: ٣٨]، فليتأمَّلوه وليتفكَّروا فيه.

ثم يأتي التوجيهُ للنبي ﷺ الذي يبلِّغ عن الله ﷻ رسالاته وحُججه، فلا يؤمنون إلا قليلًا، فيقعُ ذلك منه أشدَّ موقعٍ حتى يكاد يهلك حزنًا من إعراضهم وصدِّهم، فيأمره الله ﷻ بالصبر، والاستعانة على هذا الصبر وعلى دعوته بالعبادة والذكر والقرب من الله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[ق: ٣٩-٤٠].

وقد سبق وصفُ مشاهد عدة من مشاهد الحساب والقيامة في أثناء السورة، ثم جاء في خاتمتها هذا المشهد السريع من مشاهد القيامة ليختمَ هذه المشاهد بقرعه الشديد: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعًا﴾[ق: ٤١-٤٤].

ويصفُ اللهُ ﷻ هذا الحشر بأنه يسير؛ فهو القدير لا يُعجِزه شيء: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، لا كما زعموا مما أخبر الله ﷻ به على لسانهم في صدر السورة عن البعث: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣][1].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ١٧٠).

فهذه حُججُ الله ﷻ قد قامت على خلقه، وهذا القرآن قد أنزله الله ﷻ إنذارًا لهم إن أصرُّوا على كفرهم وطغيانهم، وهذا النبي ﷺ يسعى في دعوتهم ويصبر على أذاهم امتثالًا لأمر الله ﷻ له، فتأتي الآية الأخيرة خاتمةَ العقدِ، مقرِّرةً لعلم الله ﷻ بما يقولونه: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٤٥]، فعملُهم محصًى عليهم، وتكذيبُهم وإجرامُهم لا يخفى على ربِّهم، وعِلمُ الحبيب القادر بما يفعله العدوُّ بأوليائه أعظمُ نذارةٍ للعدوِّ وبشارةٍ للوليِّ[١].

ثم تقرِّرُ الآيةُ كونَ النبي ﷺ ليس مسلَّطًا عليهم أو مسيطرًا على قلوبهم: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]؛ فجلاءُ هذه الآيات المبسوطة في هذه السورة وفي غيرها مِن سور القرآن لا يُحتاجُ معه إلى جبَّار يُجبرُهم على الإيمان، وكذلك فإن فيها تطمينًا للرسول ﷺ بأنه غير مسئول عن عدم هدايتهم؛ لأنه إنما بُعث داعيًا وهاديًا، لا مرغِمًا لهم على الإيمان[٢].

ثم تؤكِّد مهمةَ النبي ﷺ، وهي التذكير والإنذار، هذا التذكير الذي ينتفع به من استعدَّ بقلبه لتلقي الهدايات وخاف وعيد الله ﷻ: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥]، لتُختَم بالسورة بذكر القرآن المجيد كما بدأت به في القسم في صدرها: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

قراءة السورة في الجمعة والعيد:

سورة ق هي رسالةٌ جامعةٌ، قويةُ المضامين، شديدةُ الوقع على القلوب بكلماتها وفواصل آياتها، ولا عجبَ أن كان النبي ﷺ يقرؤها في المجامع الكبار لما اشتملت عليه من الكلام عن ابتداء الخلق، والبعث والنشور، والمعاد والقيام والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب[٣].

---

(١) انظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي (١٨/ ٤٣٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٤١٢)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٣٣٣).

(٣) انظر: الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير، إياد القيسي (٦/ ٨٣)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٣٩٣).

هذا مع ما فيها من معاني القدرة والقهر، والتي لا تفارق سامعَها في جميع مشاهدها، والذي يُحـتاج إليه في إقامة أمر الناس[1]، ولعل هذا -أيضًا- من حكمة تكرار النبي ﷺ لها على منبره في يوم الجمعة وفي العيد.

ثم إن خروجَ الناس لصلاتَي الجمعة والعيد مُذكِّرٌ بالخروج من القبور المذكورِ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[ق: ١١]، ومذكِّرٌ بالحشر المذكورِ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤][2]، فينتبه المؤمنون لهذا المشهد المذكِّر بمراحل الآخرة وعرصات الحساب.

---

(١) انظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي (١٨/ ٣٩٩).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٨/ ١٢٥).

الفصل الثالث



سورة السجدة

المبحث الأول: التعريف بسورة السجدة.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة السجدة.





المبحث الأول:

التعريف بسورة السجدة

١) تسمية السورة:

- سورة السجدة:

وهو المكتوب في المصاحف وكتب التفسير، وقد ورد في كلام ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (نزلت سورة السجدة بمكة، سوى ثلاث آيات: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث [السجدة: ١٨-٢٠])[١].

ووجه التسمية: ما فيها من أوصاف المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى عند سماع آيات القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[السجدة: ١٥].

- سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾السجدة:

وهي تسمية للسورة بمفتتحها، سُمِّيت بها في زمن النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾)[٢]، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾[٣].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٥٨٠).

(٢) رواه البخاري (٨٩١) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم (٨٨٠) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، وقد سبق.

(٣) رواه ابن ماجه (٨٢٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، وقد سبق.



- **سورة المضاجع:**

ووقعت في بعض كتب التفسير، كتفسير ابن الجوزي[(١)] والرازي[(٢)] والآلوسي[(٣)]، وذكرها السيوطي في الإتقان[(٤)].

ووجه التسمية: ورود لفظ المضاجع في السورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]، وإن كانت لا تختص بهذا اللفظ؛ فقد ورد لفظ المضاجع في سورة آل عمران مضافًا إلى ضمير الغائبين -مضاجعهم- [في آية ١٥٤]، وفي سورة النساء [في آية ٣٤].

- **سورة المنجية:**

وقد ورد عن خالد بن معدان، قال: اقرءوا المنجية وهي ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾؛ فإنه بلغني أن رجلًا كان يقرؤها ما يقرأ شيئًا غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها وقالت: رب اغفر له؛ فإنه كان يُكثر قراءتي، فشفَّعها الربُّ فيه وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة[(٥)]، وقد نقله القرطبي[(٦)].

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٣٢)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٥/ ١٤٣).

والرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي، الطبرستاني الأصل، ثم الرازي، المفسر المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، ولد سنة ٥٤٤هـ، صنف في فنون كثيرة، ومن تصانيفه: «التفسير الكبير» المعروف بـ«مفاتيح الغيب»، و«المحصول»، و«نهاية العقول»، وتوفي بهراة يوم الفطر سنة ٦٠٦هـ.

انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٢١٦)، وشذرات الذهب (٥/ ٢١).

(٣) روح المعاني (٢١/ ١١٥)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧٣)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٥) رواه الدرامي (٣٤٠٨) كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة، موقوفًا على خالد بن معدان، ولا يثبت بمثل ذلك فضلٌ خاصٌ، وإنما الشاهد منه: ذكر الاسم.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ٨٤).



٢) فضائل السورة:

- ورد في فضل هذه السورة تخصيص النبي ﷺ لها بالقراءة قبل النوم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١][1].

- بالإضافة لما ورد في قراءتها في فجر الجمعة مع سورة الإنسان:

فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾[2].

٣) عدد آيات السورة[3]:

تسع وعشرون آية في البصري، وثلاثون آية في عدد الباقين؛ للاختلاف في مواضع الفواصل:

- ﴿الٓمٓ﴾ عدَّها الكوفي رأس آية، ولم يعدَّها الباقون.
- ﴿لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ لم يعدَّها الكوفيُّ والبصريُّ رأس آية، وعدَّها الباقون.

٤) زمن النزول:

سورة السجدة مكيَّة في إطلاق أكثر المفسرين[4].

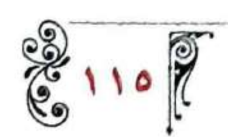
---

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٧) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وقال: هذا حديث صحيح، والدارمي (٣٤١١) كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك، والحاكم (٣٥٤٥) كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٠-وما بعدها).

(٢) سبق ذكر الأحاديث وتخريجها ص(٤١-٤٢).

(٣) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٠٧).

(٤) ولم يذكرها السيوطي في «الإتقان» في السور المختلف فيها. انظر: «الإتقان في علوم القرآن» - فصل في تحرير السور المختلف فيها (١/ ٣٠، وما بعدها).



وقال ابن عطية رحمه الله: (هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[السجدة: ١٨] إلى تمام ثلاث آيات)[1]، وكذا قال القرطبي[2]، وذكرها السيوطي فيما استثني من المكي، وقال: (وزاد غيره: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ [السجدة: ١٦])[3].

فأما الاستثناء الأول: فلما رواه الواحدي عن ابن عباس قال: (قال الوليد بن عقبة ابن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحدُّ منك سنانًا، وأبسط منك لسانًا، وأملأ للكتيبة منك، فقال علي: اسكت فإنما أنت فاسق. فنزلت الآية)[4]، وفي إسناده ابن أبي ليلى، وهو ضعيف[5].

وقال البقاعي: (وهذا النقل فيه نظر؛ فإن عليًّا لم يُنقل من طريق صحيح أنه اجتمع بالوليد بعد أن هاجر إلا ساعة المبارزة ببدر، فإن كان قال له ذلك حينئذٍ وإلا فمتى؟)[6].

وأما الاستثناء الثاني: فقد قال السيوطي: (ويدلُّ له ما أخرجه البزار[7] عن بلال، قال: كنا نجلس في المسجد، وناس من الصحابة يصلُّون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت)[8]، على اعتبار الحدث مدنيًّا.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٥٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ٨٤).
(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٤٣).
(٤) أسباب النزول، الواحدي ص: (٣٦٧).
(٥) انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/ ١٨٤).
(٦) مصاعد النظر، البقاعي (٢/ ٣٦٠).
(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثمي (٢٢٥٠) (٣/ ٦٥).
(٨) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٤٣).



وهو ضعيف أيضًا، قال الهيثمي: (رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب، وهو ضعيف)[1].

والذي يترجح مما سبق: أنه لا يصح الاستثناء من سورة السجدة، وأن ما استُدلَّ به على الاستثناء منها لا ينهض للاستدلال به، **فالسورة كلُّها مكيةٌ**، والله تعالى أعلم.

٥) محور السورة:

تعدَّدت موضوعات سورة السجدة، مما أوجد تنوعًا فيما قاله المعتنون بمقاصد السور فيما يخص هذه السورة الكريمة، فمنهم مَن نظر إلى السجدة الواردة فيها وما توحِي به من معانى الخضوع والإخبات وترك الاستكبار، ومنهم مَن نظر إليها مِن زاوية القرآن المكي، وما ورد فيها مِن الاحتجاج على القضايا الثلاث الكبرى: التوحيد والرسالة والبعث.

ولا شك أن تعدد موضوعات السورة أدَّى إلى اختلاف نظر المتأمل في آيها لاستنباط مقصدِها والخيطِ الناظمِ لموضوعاتها.

والذي تبيَّن لي في هذا البحث من خلال دراسة آياتها ومراجعة ما كُتب في مقصدها وموضوعاتها أن محور السورة يدور حول **القرآن الكريم بين المكذِّبين به والمصدِّقين**، والله تعالى أعلم بمراده.

وتتعرضُ الآيات خلال ذلك لأوصاف القرآن، وذِكر أحوال كلٍّ مِن الفريقين مع آياته، وعاقبة كلٍّ منهما، وذِكر مثالٍ مِن أخبار السابقين فيها كتاب إلهي -وهو التوارة- انقسم الناس فيه بين مكذِّبٍ ومصدِّق.

وسيتبين ذلك -إن شاء الله- من خلال عرض السورة في مبحث القراءة الموضوعية للسورة.

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي (٧/ ٩٠).







المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة السجدة

تمهيد:

عالجت سورةُ السجدة القضايا الكبرى التي تعالِجها السور المكية، وأساسُها ثلاث قضايا: توحيد الله ﷻ، والتصديق بالرسالة، والاعتقاد بالبعث والقيامة.

وإن كانت هذه الأغراض تتكرر في كثير من السور المكية؛ إلا إنَّ الناظر المدقق في هذه السور يجد أن كلًّا منها يتعرض لهذه القضايا بأسلوب مختلف ويعالجُها بطريقة تختلف عن غيرها من السور التي تقاربها في مقاصدها.

وإن ذكر بعضُ المعتنين بذكر مقاصد السور هذه القضايا كمقصد لسورة السجدة؛ فإن هذا لا يكفي في تمييزها عن غيرها مما يماثلُها مِن سور القرآن التي تعرَّضت لنفس القضايا، وهذا الموضوع جدير بالبحث من المعتنين بعلم المناسبات ومقاصد السور، وهو: **الخصائص التي تتميز بها كل سورة من السُّوَر التي تتقارب في مقاصدها**.

لذلك كان مِن المهم النظر في تفاصيل تناول هذه القضايا، وطريقة تناولها وعرضها وتسلسلها، مع **استحضار ما خُصَّت به السورة من سجدة تميَّزت بها**، بل سُمِّيت بها وصارت علمًا عليها، بما في معنى السجود من معاني الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى.

وكذلك **استحضار تخصيصِ هذه السورة الكريمة بالقراءة في فجر الجمعة** في صلاة هي أفضل صلوات الأسبوع، وكأنَّ في أسلوب تقريرها لهذه القضايا ما يزيد أهمية عرضها على مسامع المسلمين في كُلِّ أسبوع في أشرف الأيام وأفضل الصلوات وفي وقت صفاء الذهن وصفاء الصف المؤمن الذي يحضر صلاة الفجر في الجماعة مع النبي ﷺ.

وكذلك ما سُنَّ من قراءتها كل ليلة قبل النوم، كمراجعة وتجديد للعهد مرة أخرى



قبل الموتة الصغرى للإنسان، يجدِّد بها ميثاقه، ويتذكر من خلال رسالات الله ﷻ فيها هذه القضايا الكبرى التي عُرضت في السورة بأسلوب خاص تتميز به عما عداها[1].

قراءة إجمالية لسورة السجدة:

إن صدرَ سورةِ السجدة في الكلام **عن القرآن الكريم وصفته**، وسجدةُ السورة التي سُميت السورة بها هي تلك السجدة الصادرة عن أولئك الذين انفعلوا بآيات هذا القرآن العظيم لَّما ذُكِّروا بها: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾[السجدة: ١٥].

والقرآنُ الكريم هو جِماع رسالات الله ﷻ لخلقه، وهو الفرقان بين المؤمنين والكافرين، فهو جِماعُ الهدى الذي اتَّبعه أهل الإيمان ففازوا وأفلحوا، والتكذيبُ به وبما جاء فيه هو جِماعُ ضلال الكافرين والمكذبين.

- **فتبدأ السورة بذكر القرآن وصفته، ثم أحوال الناس معه:**

فالقسم الأول: مَن كذَّبوا به، وزعموا أن النبي ﷺ قد افتراه على ربِّه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ .. ﴾ [السجدة: ٣]، وما ترتَّب على ذلك مِن خلل وانحراف في القضايا الثلاثة الكبرى: التوحيد والرسالة والبعث، وتنقلُ السورةُ قولَهم في تكذيب النبي ﷺ وإنكار البعث -على هذا الترتيب-، ثم تذكر جزاءَ هؤلاء وعقابَهم الذي توعَّدهم الله ﷻ به.

أما القسم الثاني: فهم مَن آمنوا بالقرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا .. ﴾ [السجدة: ١٥]، وتَعرض الآيات لثمرة إيمانهم بالقرآن، وهو وثيقُ الصلةِ بكل ركن مِن القضايا الثلاثة الكبرى، ثم تذكر الآيات صفةَ الجزاء الذي أعدَّه الله ﷻ لهؤلاء المؤمنين بكتابه.

وبعد عرض هذين النوعين وأعمالِهم ومآلِهم **يذكر الله سبحانه وتعالى ميزانَ العدل**

---

(١) سبق ذكر الأحاديث في تخصيصها بالقراءة في فجر الجمعة وقبل النوم. انظر ص(١١٥).



في عدم التسوية بين الفريقين: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[السجدة: ١٨]، مع تأكيدٍ في إيجازٍ لعاقبة كلٍّ مِن الفريقين.

ثم يُضرب مثالٌ لنبيٍّ، له كتابٌ، اختلف الناسُ فيه كما اختُلِف في القرآن: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾[السجدة: ٢٣]؛ ليكون عبرةً لكلٍّ من الفريقين: تسليةً للموقنين بالقرآن أن يجعلهم أئمة كما جعل من سبقهم ممن آمنوا بالكتاب الذي أنزل على موسى، ووعيدًا للمختلفين بأنَّ الذي يفصل بينهم هو الله ﷻ.

ثم تعود الآيات قبيل الختام بمشهدين، في كل منهما ردٌّ على مقولة باطلة من المقولتين المذكورتين لأهل الباطل في صدرِ السورة، فإن قالوا افتراه فلينظروا في إهلاك الله ﷻ للأمم مِن قبلهم لَمَّا كذبوا رسلَهم، وإن كذَّبوا بالبعث فهذه آيةُ نزول الماء وإنبات الأرض فيها دليلٌ على البعث لمن يُبصر.

ثم تُختَم السورةُ بذكر تهكُّم الكافرين الذي زادوه على تكذيبِهم متمثِّلًا في سؤالهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[السجدة: ٢٨]، فتنتقل الآيات في جوابهم -بأسلوب الحكيم- إلى الفتح الحقيقي يوم القيامة الذي لا ينفعهم فيه عملُهم شيئًا ولا هم يُنظرون.

ويأتي الأمرُ للنبي ﷺ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ ﴾ [السجدة: ٣٠]، في ختام هذه المجادلات والحُجج المذكورة في السورة، التي مَن أنكرها والتَفَتَ عنها فالإعراض حينها هو المتعيِّن على مبلِّغه والانتظار؛ انتظار البشرى للمؤمنين والوعيد للكافرين المكذِّبين.

لتُختَمَ هذه السورةُ العظيمةُ في هذا التسلسل البديع لمواضيعها، وهذه المناسبات الجليَّة لرسالاتها، قد تجلَّت مِن خلالها محورية القرآن الكريم، ورسَّخت معاني الإيمان في قلوب أهله، وأقامت الحجج التي تُذهب كل وساوس الشياطين.



من هدايات سورة السجدة:

- صفة القرآن في صدر السورة:

تبدأ السورة بالحروف المقطَّعة ﴿الٓمٓ﴾ [السجدة: ١]، وهي ذات الحروف التي يتألَّف منها كلام العرب في أشعارهم وخطبهم، وهم الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة، فهذه الحروف التي يعرفونها ويؤلفون منها كلامهم يتكوَّن منها القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ، فلمَ لا يستطيعون أن يحاكوه وأن يأتوا بمثله، بل بسورةٍ مِن مثله؟!

وفي هذا دليل على كونه ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، فهذه صفته: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، وهذا مصدره: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فهو لا ريبَ فيه لما حفَّ تنزيله من الدلائل القاطعة على كونه من عند الله، وكذلك ما علموه مِن حال النبي ﷺ مِن الصدق والاستقامة، ثم مجيء مثل القرآن مِن مِثل النبي ﷺ مع ما هو معلوم عنه ﷺ مِن كونه أميًّا لم يتعلم علم الكتاب(١).

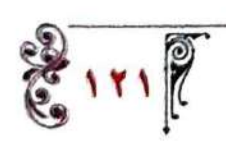
وكونه مِن رب العالمين هو الأصل الذي تفرع عنه كونه لا ريب فيه، وكذلك هو مدلول كونه لا ريب فيه، ووصفُ الله تعالى برب العالمين فيه إشارة إلى عموم شريعة هذا الكتاب، وهذا مِن خصائص هذا الكتاب العظيم.

ثم تتعرَّض الآياتُ لذكر المكذِّبين بالقرآن الكريم، والذين كان تكذيبهم جِماعًا لكل شرورِهم ومظاهرِ كفرهم في أقوالهم وأفعالهم، فقد زعموا افتراءَ النبيِّ ﷺ له: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾[السجدة: ٣]، فجاء الردُّ عليهم بتأكيد صفةِ القرآن وذكرِ غايته: ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[السجدة: ٣]:

فصفتُه: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، لا باطل كما يزعمون.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٢٠٦).



ومصدرُه: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، ولم تفترِه مِن نفسك كما يقولون.

وغايتُه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، فهو نذير لهم، أنزله الله ﷻ هداية لهم.

- **من أفعال الله ﷻ:**

ولما كان الركن الأعظم من أركان هُدى الكتاب هو **إثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال الشرك**؛ جاء إثبات هذا الركن الأعظم بعد التعريف بالقرآن وصفته[1].

ثم إن القارئ أوالسامع إذا استحضر عظمةَ هذا الإله العظيم ومظاهرَ قدرته وعلمه فكيف يتصور أن يختَلِقَ عليه مختلِقٌ كلامًا وينسبه إليه ويزعم أنه منه، ثم لا يُنزل به عقابَه؟! كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

ثم ذكر الله ﷻ طرفًا مِن مظاهر قدرتِه وعظمتِه، فهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة: ٤]، وإذا كان هذا شأنه تعالى وهو القدير؛ فإنه تعالى ليس له معاونٌ ولا وزيرٌ، وليس للكافرين من دونه وليٌّ ينصرهم ولا شفيعٌ يشفع لهم عند ربهم، قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

ولما ذكر اللهُ ﷻ ذلك ناسب أن يأتيَ ذكرُ أفعال الله تعالى في هذا الكون العظيم، فذَكَرَ تدبيرَه الأمر من السماء إلى الأرض، وما في ذلك من آيات العظمة التي لا يعيها عقل بشر، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[السجدة: ٥-٦].

ثم ذكر الله تعالى خلقَ الإنسان مِن بين سائر الموجودات، فقد خلق اللهُ ﷻ آدمَ من طين،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٢١١).

ثم خلق نسلَه من ماءِ المنيِّ المهين، ثم نفخ فيه الرُّوحَ، ورزقه هذه الحواسَّ التي كثيرًا ما ينسى بنو آدم نعمةَ الله ﷻ عليهم بها، فينسون شكرَه عليها.

- **إنكار المكذِّبين بالبعث:**

ثم ذكر الله ﷻ مقولةً ثانيةً لهؤلاء المبطلين، وهي تتعلقُ بحُجَّة مِن حُججِهم الداحضة في إنكار البعث بعد الموت: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾[السجدة: ١٠]، وقد ناسب أن يأتيَ ذكرُ هذه الشبهة بعد ما ختمت به الآياتُ السابقةُ مِن ذكر مظاهر عظمة الله وقدرته مِن ذكر خلق الإنسان من طين ثم من نطفة من ماء مهين؛ **فإن الذي خلق الإنسان من قبل ولم يكُ شيئًا قادر على أن يعيده،** فوقوع شبهتهم على الآذان بعد تقرير هذا المشهد العظيم في خلق الإنسان يجعل النفوس تستنكرها وتدفعها.

وكأن هذا المشهد العظيم في خلق الإنسان حجة على القائلين بهاتين المقولتين الباطلتين:

مقولة التكذيب بكون القرآن من عند الله تعالى؛ فإن الذي خلق الإنسانَ لن يتركَه سُدى؛ بل سيُرسل إليه رسولًا، ويُنزل إليه شريعةً ينصلح بها أمر دينه ودنياه، وكذلك فإن هذا الخالق الملك العظيم لن يترك مَن يتقوَّل عليه، وإن كان هذا لا يفعله ملوك الدنيا؛ فكيف بمَلِك الملوك؟!

وكذلك حجة على **مقولة التكذيب بالبعث،** كما تبيَّن سابقًا في الاستدلال بالخلق الأول على البعث بعد الموت.

فاجتمعت القضايا الثلاث الكبرى في القرآن: قضية التوحيد، وقضية الرسالة، وقضية البعث والقيامة، وتبيَّن أصلُها وهو قضية التوحيد الذي إن صح لدى الإنسان ساقَه إلى الإيمان بالرسالة والبعث بعد الموت، وإنما يقع الانحراف في قضيتي الرسالة والبعث بسبب الانحراف ابتداءً في قضية التوحيد.

وهذا موضع مُعجِز من كلام الله ﷻ -وكل كلامه معجِز- في إقامة الحجة، وذكر المقدمات وبناء النتائج، فسبحان مَن أنزل القرآن!

- **جزاء المكذِّبين:**

ثم تذكر الآياتُ جزاءَ هؤلاء المكذِّبين، ووعيدَ الله ﷻ لهم، بدءًا من مشهد الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، إلى مشهد الحشر والرجوع إلى الله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، إلى مشهد الوقوف بين يدي الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[السجدة: ١٢]، إلى استغاثتهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة: ١٢]، والتي لم يُذكَر في الآيات لها جوابًا لهوانهم على الله ﷻ[1].

ثم تُختم الآياتُ بشأنهم بما يقطع آمالهم وهم يُعذَّبون في النار، ويذكِّرهم بسبب ما استحقُّوه من العذاب، في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٤].

- **المؤمنون بالقرآن.. أحوالهم وجزاؤهم:**

ثم تنتقل بنا السورة بعد عَرض أحوال المكذِّبين وأقوالهم وجزائهم إلى الفريق الآخر؛ إنهم المؤمنون بآيات الله ﷻ، وتذكر الآياتُ صفةَ هذا الفريق في مقابل الفريق الأول: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السجدة: ١٥-١٦].

فللإيمانهم أماراتٌ ظاهرةٌ؛ فهم إذا ذُكِّروا بالآيات التي قابلَها الفريقُ الأولُ بالاستكبار والتكذيب يخرُّون سجدًا خاضعين لله ﷻ، لا يستكبرون كما استكبر الفريق الآخر، يسبِّحون الله ﷻ وينزِّهونه عن كل عيب ونقص.

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٥/ ٢٥١)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٢٢١-٢٢٢).

ثم هم تقلِّبهم آياتُ القرآن في مضاجعهم، فتتجافى جنوبُهم عنها قيامًا بين يدي الله ﷻ الذي أنزل هذه الآيات، فيدعُونه خوفًا مِن عذابه ورجاءً في حسن جزائه، ولا يقتصر أثرُ هذه الآيات في النفع الشخصي اللازم؛ بل يمتدُّ ليشملَ الناسَ من حولهم، فيتعدَّى نفعُهم للآخرين، فينفقون مما رزقهم الله ﷻ.

وتأتي السجدة في صَدْرِ الكلام عن أحوال المؤمنين بآيات القرآن بعد آياتٍ متتاليةٍ في أقوال الكافرين المكذِّبين المستكبرين، ثم ذِكر الوعيد لهم على أفعالهم، وما زالت لم تفارق مخيلةَ السامعِ صورةُ هؤلاء المكذِّبين وأقوالهم؛ **لتنقله مِن أقصى صُور التكذيب والإعراض إلى أسمى صور الذل والخضوع لله ﷻ**، وأكمل صور التأثر بآيات القرآن، وهي وضع أشرفِ ما في الإنسان على الأرض تذلُّلًا لإلهه الذي خلقه فسوَّاه فعدله!

ولما ذكر اللهُ تعالى عذابَ الكافرين المكذبين بآياته وبعضَ ما يكون مِن أحوالهم يومَ القيامة بعد أن ذكر أقوالَهم وأعمالَهم؛ ناسب أن يُذكَر في مقابل ذلك الجزاءُ الذي أعدَّه الله ﷻ لعباده المؤمنين بآياته بعد ذكرِ بعضَ أعمالهم، فذُكر الجزاءُ في عبارةٍ تأخذ بالقلب إلى آفاق لا يُبلغ منتهاها: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[السجدة: ١٧]، فكلُّ ما قد تتصوره العقول أو يتخيله بنو آدم؛ فما أُخفي لعباد المؤمنين فوقه وأعظم!

ثم ذكر اللهُ ﷻ السببَ الذي نالوا به هذا النعيمَ المقيمَ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، والله ﷻ شكور، يجازي عبادَه المؤمنين على إحسانهم إحسانًا، ولا يُضِيع أجرَ من أحسن عملًا.

- **موازنة بين المكذبين والمؤمنين:**

إن الجزاء الذي تُوعِّد به المكذبين بما كسبته أيديهم وبنسيانهم لقاء الله ﷻ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٤].

والنعيم الذي وُعد به المؤمنون كان جزاءً على أعمالهم التي تقربوا بها إلى ربهم ﷻ، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧].

وإن كان المكذِّبون قد استكبروا عن الحق في الدنيا؛ فقد ذلُّوا يوم القيامة جزاءَ استكبارهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[السجدة: ١٢]، بخلاف أهل الإيمان الذين ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾[السجدة: ١٥]، وكأن الآيات تذكِّر السامعين أن مَن لم يذلَّ لله تعالى في الدنيا سيذلُّ يوم القيامة، ولكنه ذلٌّ لا ينفعه.

- **تقريرُ ميزان العدل:**

وبعد عرض أحوال المكذبين والمؤمنين، وجزاءِ كل من الفريقين = تُقرِّر الآيات مبدأ الجزاء العادل مرةً أخرى في موازنة سريعة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، وتقرِّر اختلاف الجزاء باختلاف العمل: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٩ - ٢٠]، فجزاء الأولين ﴿نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وجزاء الآخرين عذاب النار الذي كانوا به يكذبون[١].

وفي بيان ميزان العدل جوابٌ على المتعنِّت المستشكِل عقاب الله ﷻ للكافرين، وعدم تسويته بين جميع خلقه في إدخالهم الجنة، مع كونه هو الغني العزيز الكريم، الذي لا ينتفع بطاعة الطائعين ولا يتضرر بمعصية العاصين، فإن عدل الله ﷻ يقتضي ألا يُسوَّى بين المؤمن والفاسق، لذلك جاء هذا الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨][٢].

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٦/ ٥٧-٥٨).

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٥/ ٢٥٨).

ثم ذكر اللهُ ﷻ ما توعَّد به أهل الكفر من العذاب العاجل قبل عذاب الآخرة الآجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[السجدة: ٢١]؛ تهديدًا لهم على تكذيبهم وكفرهم، وتسليةً للنبي ﷺ والمؤمنين الذين لاقَوا التكذيبَ والصدَّ مِن هؤلاء المجرمين.

وتُختَم الآية بعلَّة ربما لا يُنتَبه لها؛ أن نزول هذا العذاب الأدنى في الحياة الدنيا لعله يكون موعظةً لهم، فيَنتهون عما هم فيه، ويسلكون طريق الهدى، ويرجعون إلى ربهم، قال تعالى: ﴿.. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وهذا ما وقع لبعضهم ممن شاء الله ﷻ له الهدايةَ بعد وقوع صورٍ من العذاب الأدنى للكافرين على أيدي المسلمين في بدرٍ والأحزابِ وفتحِ مكةَ وغيرِها من مشاهد انتصار المسلمين، وانتقل عددٌ من المشركين المحاربين في هذه المشاهد إلى حظيرة الإسلام بعد ذلك، وحَسُنت صحبتُهم وإسلامُهم بعد أن ذاقوا العذاب الأدنى، فرجعوا، فنجَوا من العذاب الأكبر، والله تبارك وتعالى يهدي من يشاء.

ثم تُختم هذه الموازنة بين الفريقين وتلقِّيهما لآيات القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: ٢٢]، فهذا الذي تُوعِّدوا به ليس ظلمًا لهم -تعالى الله عن ذلك-؛ بل هم الظالمون ولا أظلم منهم.

وهنا يظهر الفرق بين هذا الذي ﴿ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾، وهؤلاء الذين ﴿إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[السجدة: ٢٢]، فأصل هداية المهتدين وضلال الضالين في صورة تلقيهم للتذكير بآيات الله ﷻ:

فكل خير أصله الانتفاع بالتذكير بآيات الله ﷻ والخضوع لله عند سماعها وتلقي هداياتها دون استكبار، وكل شر أصله الإعراض عن آيات الله ﷻ تكبرًا أو جحودًا.

- **نبي الله موسى عليه السلام، والكتاب المنزّل عليه، واختلاف الناس فيه:**

ثم ذكر الله ﷻ طرفًا من شأن نبيِّه وكليمِه موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣]؛ فإنَّ اختلافَ الناس في القرآن قد وقع نظيرُه مِن الناس في زمن موسى عليه السلام في كتاب الله ﷻ الذي أنزله عليه، وهو التوارة.

فمِن الناس مَن انتفعوا بهدى كتاب الله ﷻ، وأيقنوا بما فيه، وصبروا على أذى المكذِّبين، فرفع الله ﷻ مِن شأنهم وجعلهم أئمة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣-٢٤]، وفيه تعريضٌ لأصحاب الرسول ﷺ أن يكونوا أئمةً هداةً إذا صبروا وأيقنوا[1].

وفريقٌ آخر كانوا على غير ذلك، فوقع الاختلاف بينهم وبين المؤمنين كما وقع بين أتباع الرسول ﷺ والمكذِّبين بالقرآن، فذكر اللهُ تعالى أنه هو الذي يفصل بين هؤلاء وهؤلاء، وكفى به حكمًا عدلًا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥]، وكفى بها بشارة لأهل الإيمان! وكفى بها نذارة لأهل الكفران!

ولا يخفى ما في هذا الاعتراض اللطيف مِن تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، ومن الاعتبار بأمة سابقة وقع فيها مع آيات الله ﷻ مثل ما وقع مع آيات القرآن المنزَّلة على خاتم النبيين محمد ﷺ.

- **مشهدان، وعودٌ على بدء مع مقولتي الكفار:**

ولما كان قد تقدَّم عن الكفار قولان في أول السورة: أحدهما في تكذيب القرآن: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٣]، والثاني في إنكار البعث: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]، وورد ذِكرُ فسادهما والردُّ عليهما في موضعه، والفصل بين الناس

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٢٣٧).

بين محق ومبطل، وبيان عاقبة كل منهما = عادت الآيات قبل ختام السورة بسؤالين، في كل منهما مشهدٌ فيه ردٌّ على مقولة من هاتين المقولتين[1].

فقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[السجدة: ٢٦] فيه بيان عاقبة سابقيهم ممن كذَّبوا رسلهم، فليكن لهم فيهم عبرة أن يصيبهم مثلُ ما أصابهم بتكذيب نبيهم ﷺ، خاصة وهم يمشون في مساكنهم، ويرون آثارَهم شاهدةً على ما وقع بهم.

أما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[السجدة: ٢٧] ففيه دليل على البعث الذي أنكروه واستبعدوه، فإن نزول الماء على الأرض وخروج النبات منها من أعظم الأدلة على إمكان البعث.

- **تهكُّم الكفار بالمؤمنين، والجواب المفحم:**

وبعد أن عرضت الآيات تكذيبَهم بالقرآن والبعث، ثم عَرَضَت مِن آيات الكون ما فيه دليل على ما أنكروه فأعرضوا عنها = لم يكتفوا بذلك؛ بل أضافوا إليه التهكُّم بالمسلمين والاستهزاء بهم بسؤالهم عن موعد الفتح والنصر، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[السجدة: ٢٨].

ويأتي الجواب من الله ﷻ لنبيه ﷺ ليجيبهم به: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[السجدة: ٢٩]، مشيرًا إلى أن يوم الفتح -على الحقيقة- هو يوم القيامة، وهو يوم الفصل الحق الذي سيندمون فيه على ما كسبت أيديهم، ولا يؤخَّرون عنه.

ولا يخفى ما جمعته هذه الآية من تهديد ووعيد للكافرين المكذِّبين، ومن تسلية وبشارة للنبي ﷺ والمؤمنين الذين قاسوا وعانوا تكذيب الكافرين وإيذاءهم.

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٥/ ٢٦٧).



- **التوجيه الإلهي للنبي الكريم:**

ثم تُختم السورةُ بهذا التوجيه الإلهي العظيم للنبي الكـريم ﷺ: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[السجدة: ٣٠]، وهو تفريع عن كل تلك المجادلات السابقة[1]، بـدءًا من مجادلتهم في القرآن، مرورًا بمجادلتهم في البعث بعد الموت، وإعراضهم عن آيـات الله ﷻ التي يرونها بين أيديهم، إلى تهكُّمِهم بالمؤمنين واستهزائهم بهم، فهذا هو السبيل بعـد بيان الحق: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[السجدة: ٣٠].

سورة السجدة وفجر الجمعة:

وبهذا تكون هذه الآيات العظيمة أول ما يلامس أسماع المؤمنين في هذا اليوم العظـيم -يوم الجمعة-؛ تذكِّرهم بالمنهج الواجب عليهم اتباعه، والذي جلَّى الله ﷻ لهم من خلاله الحق والباطل، فهداهم النجدين بآياته، وبيَّن لهم السبيل بكلماته، وتبيِّنُ لهم أحوالَ النـاس مع هذا القرآن العظيم؛ فينظرُ السامع في أحواله ويقيسها على أحوال الموصوفين في السـورة، ليكون من نفسه على خُبر، ومن حاله على بصيرة.

وكذلك تذكِّرهم بالقضايا الكبرى، مجليةً لهم حقيقتَها التي يُخبر بها العليمُ ربُّ العـالمين، والتي طالما حـارت فيها البشرية؛ من: بداية خلقهم، وبيان المصير بعـد الموت، ومعرفـة ميزان العدل الذي توزن به الدنيا، ويوزن به الناس في الحساب بين يدي الحَكَم العدل.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٢٤٣).

الفصل الرابع

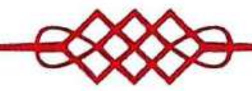


سورة الإنسان

المبحث الأول: التعريف بسورة الإنسان.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة الإنسان.

المبحث الثالث: المناسبة في الجمع بين سورتي السجدة والإنسان.






المبحث الأول:

التعريف بسورة الإنسان

١) تسمية السورة:

- **سورة الإنسان:**

وهو المكتوب في المصاحف وأكثر كتب التفسير، وقد ورد في كلام ابن **عباس** رضي الله عنهما، قال: (نزلت سورة الإنسان بالمدينة)[١].

ووجه التسمية: افتتاح السورة بِذِكر الإنسان وخلقه من عدم، ثم ما ورد بعد ذلك من تيسير السبيل له، وانقسام الناس فيه.

- **سورة هل أتى على الإنسان:**

وسُميت به في زمن الصحابة، كما في حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾[٢]، وكذا في حديثي ابن عباس وابن مسعود[٣]، وعنون به ابن جرير الطبري للسورة في تفسيره[٤]، وهو تسمية للسورة بمفتَتَحِها.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٨/ ٣٦٥)، وعزاه لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) رواه البخاري (٨٩١) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم (٨٨٠) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، وقد سبق ص(٤١).

(٣) سبقا في فصل السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري (١٢/ ٣٥٣).

وابن جرير الطبري: هو شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام العلامة القارئ المحدِّث المفسِّر المؤرِّخ، الفقيه صالح التصانيف، ولد بآمل سنة ٢٢٤هـ، ألف كتبًا لم يُصنَّف مثلها، ومنها: تفسيره «جامع البيان»، و«تهذيب الآثار»، و«تاريخ الأمم والملوك»، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ.
انظر: طبقات المفسرين (٢/ ١١٠).



- **سورة هل أتى:**

وهي تسمية للسورة بفاتحتها اختصارًا، وسماها بهذا الاسم جماعة من المفسرين، كابن الجوزي[1] والخازن[2] وغيرهما.

- **سورة الدهر:**

ووقعت هذه التسمية في بعض المصاحف، وذكرها بعض المفسرين كابن الجوزي[3] وغيره.

ووجه التسمية: ورود كلمة الدهر فيها في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وإن كانت لم تختص السورة بهذا اللفظ؛ فقد وقع أيضًا في سورة الجاثية في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾[الجاثية: ٢٤].

- **سورة الأمشاج:**

وسماها بذلك الخفاجي[4].

---

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٧)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٢) لباب التأويل (٤/ ٣٧٦).

والخازن: هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيُّ المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، ولد سنة ٦٧٨هـ ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسةُ السميساطية فيها، وتوفي بحلب سنة ٧٤١هـ،وله تصانيف منها: «لباب التأويل في معاني التنزيل» ويعرف بتفسير الخازن،و«عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام».

انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٥).

(٣) زاد المسير (٨/ ٤٢٧)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٤) تسمية الخفاجي عزتها د. منيرة الدوسري في «أسماء سور القرآن وفضائلها» إلى مخطوط «حاشية الخفاجي على البيضاوي ج٤ أ/ ورقة (٤١٦)». [أسماء سور القرآن وفضائلها ص: (٤٦٥)].

والخفاجي: هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة، ولد بمصر سنة ٩٧٧هـ، ونشأ بها، ثم رحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فعاد إلى بلاد الروم، ثم نُفي إلى مصر، فاستقر بها إلى أن توفي، له مصنفات منها: «عناية القاضي وكفاية الراضي - حاشية على تفسير البيضاوي»، و«ريحانة الألبا» ترجم به معاصريه.

انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٢٣٨).

وذكرها الآلوسي في تفسيره[1].

ووجه التسمية: ورود لفظ الأمشاج فيها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[الإنسان: ٢]، ولم يرد في غيرها.

٢) فضائل السورة:

- **ما ورد في قراءتها في فجر الجمعة مع سورة السجدة:**

فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[2].

٣) عدد آيات السورة:

إحدى وثلاثون آية بلا خلاف[3].

٤) زمن النزول:

سورة الإنسان مما اختُلف في زمانه اختلافًا واسعًا، وقد نسب الخفاجي القول بمكيتها إلى الجمهور[4]، بينما نسب إليهم القرطبيُّ القولَ بمدنيتها[5].

وأسلوب السورة أسلوب السور المكية، وكذا موضوعاتها ومعانيها، مما يرجِّح كونها مكية بهذا الاعتبار القياسي[6].

---

(١) روح المعاني (٢٩/ ١٥٠)، وسبق ترجمة المؤلف.
(٢) سبق ذكر الأحاديث وتخريجها، فصل السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤١-٤٢).
(٣) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٦٠).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٧٠).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩/ ١١٨).
(٦) قال الجَعبري: (لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعيٌّ وقياسيٌّ). انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٤٨) ضمن: ضوابط المكي والمدني. =

وإنما بَعث على القول بمدنيتها ما ورد في سبب نزول آية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨]، وأنها نزلت في صنيع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إطعامه عشاءَه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلة، ثم ليتيم ليلة، ثم لأسير ليلة ثالثة متواليات، حملًا للفظ الأسير على معنى أسير الحرب، ولم يكن بمكة أسرى، وقيل: نزلت في صنيع أبي الدحداح رضي الله عنه(١).

وكلاهما ليس صريحًا في كونه سبب نزول للآية، بل كما قال ابن عاشور في هذا الموضع: (وكثيرًا ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها، فعبروا عنها بأسباب نزول)(٢).

فالذي يترجح -والله أعلم- مكيَّة سورة الإنسان كلها دون استثناء، وغاية ما يُقال في ذلك أنها مكيَّة، وفيها آية مدنية مستثناة(٣).

= **فالسماعي**: نقليٌّ يعتمد على ما وقع بالنقل عن الصحابة.

والقياسي: اجتهاديٌّ يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه، وهو ما عُرف بالاستقراء من موضوعات المكي والمدني، وأسلوبهما في سور القرآن الكريم.

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥/ ٤٠٨)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٧٠).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٧٠).

(٣) **تنبيه**: وقع في «الإتقان في علوم القرآن» في المكي والمدني -فصل في تحرير السور المختلف فيها، قولُ السيوطي: (سورة الإنسان: قيل مدنية، وقيل مكية إلا آية واحدة: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان: ٢٤]) (١/ ٣٤)، فعدَّ هذا الاستثناء مدنيًّا على اعتبار السورة مكيَّة، ثم في (فصل في ذكر ما استثني من المكي والمدني) أطلق ولم يعيِّن كون الاستثناء مدنيًّا من مكي أم العكس، فقال: (الإنسان: استُثني منها: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]) (١/ ٤٩).

وتبعه على ذلك ابن عقيلة المكي في «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» في (النوع الخامس عشر: علم الآيات المكية في السور المدنية، والآيات المدنية في السورة المكية)، قال: (سورة الإنسان: مكية، واستثني منها ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]) (١/ ٢٤٢).

قلتُ: وهذا وهمٌ والله أعلم؛ فهذا الاستثناء مكيٌّ على اعتبار السورة مدنيةً لا مكية. قال ابن عطية: (وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان: ٢٤]) [المحرر الوجيز (٥/٤٠٨)]. =



٥) محور السورة:

تدور السورة حول عددٍ من الموضوعات تتلخص في اسمها الموحِي بمحورِها (سورة الإنسان)؛ فهي تذكِّرُ الإنسان بأصله ونشأته، وتَذكُرُ غاية وجوده، وتبيِّن له الطريقين في هذه الدنيا، ومصير السالكين في كل طريق مِن هذين الطريقين.

إن سورةَ الإنسان تُجيب أسئلةً عديدةً حيَّرت العقل البشري كثيرًا في عدة مراحل من تاريخ الإنسانية كان فيها بعيدًا عن الوحي ورسالات الله ﷻ إلى خلقه، ويظهر هذا من خلال العرض الموضوعي للسورة كما سيأتي في المبحث الثاني.



= وهذا ظاهر على اعتبار السورة مدنية من استثناء ما فيه الأمر بالصبر وترك القتال من المدني، وما روي عن قتادة وابن جريج من أنها نزلت في أبي جهل. [الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (٨/ ٣٧٨)].

فيتلخَّص من ذلك:

أن القائل بمدنيَّة السورة قد يستثني منها قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[الإنسان: ٢٤].

والقائل بمكيتها قد يستثني منها قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨].







المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة الإنسان

قراءة إجمالية لسورة الإنسان:

تبدأ سورةُ الإنسان بتذكير الإنسان بنشأته وحقيقة أصله، وتُعلِمُه بالغاية مِن خلقه، وتُبيِّن كيف أنَّ الله ﷻ قد هداه الطريقَ وبيَّن له السبيل، ثم صار الإنسان على مفرق الطرق: إما شاكرًا وإما كفورًا.

ثم تبيِّن آيات السورة جزاءَ كل مِن الفريقين ومآله، فيُوجَزُ ذكرُ جزاء الكافرين في آية واحدة، ثم يُبسَط جزاءُ الشاكرين الأبرار في آياتٍ عدَّةٍ هي من أطول الصور القرآنية لمشاهد النعيم في القرآن[1]، يتخلَّلُها ذكرُ بعض أعمال هؤلاء الأبرار التي استحقوا عليها هذا الجزاء العظيم من الرب الكريم ﷻ.

ثم بعد بيان جزاء الفريقين يتوجَّه الخطابُ للنبي ﷺ؛ فطريق هذا النعيم يحتاج إلى صبرٍ وثباتٍ واستمساكٍ بكتاب الله ﷻ واستعانةٍ دائمة بذكره.

ثم تُختَم السورة ببيان عاقبة هذا الابتلاء الذي بدأت به السورة؛ فإن كانت بداية السورة قد ذكرت انقسامَ الناس في هذا الطريق؛ فإن في نهايتها ذكرَ مصير كلٍّ من هذين الفريقين، لتُختَم السورة بآخر مشاهد الإنسان بعد أن عرضت أصله وطريقه ثم ختمت بمصيره.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٧٧٨-٣٧٧٩).



من هدايات سورة الإنسان:

- **مدخل السورة:**

تبدأ السورة باستفهام تقريري في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، يلفت انتباهَ الإنسانِ إلى هذا السؤال: **أين كان قبل أن يكون؟**

إن الإنسان لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم أنعم الله ﷻ عليه بنعمة الوجود، وخَلَقه من نطفة أمشاج، وما ذاك إلا لغاية عظيمة وحكمة جليلة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، فالله ﷻ قد خلقه في الدنيا دار الابتلاء والاختبار، وخلق له مقتضيات هذا الابتلاء؛ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، فزوَّده بوسائل الإدراك ليتمكَّن مِن مشاهدة الدلائل ببصره، وسماع الآيات بسمعه، ومعرفة الحجج ببصيرته، فيصح تكليفُه وابتلاؤُه[1].

فذكر اللهُ ﷻ للإنسانِ أصلَه وبدءَ خلقه، وبيَّن له الغايةَ مِن وجوده، ثم بيَّن له طريقه في هذا الاختبار، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فالله ﷻ قد هداه إلى طريق النجاة، مَن أخذ بهذا الهدى كان شاكرًا، ومَن أعرض عنه كان كفورًا.

فعرض مدخلُ السورةِ للإنسان أصلَه، والغايةَ من وجوده، وهدايتَه إلى الطريق، وانقسامَ الناس إلى فريقين مع هذه الهداية، ثم جاء التفصيل بعد ذلك في مآل كلٍّ من الفريقين في الآخرة.

- **مآل الفريقين: الكافرين والأبرار:**

بدأت الآياتُ بذكرِ جزاءِ الكافرين باقتضاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، ثم فصَّلَت في جزاء الأبرار في صورة جميلة مِن مظاهر

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٣٠)، وفي ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٧٨٠).



النعيم المقيم الذي أعدَّه الله ﷻ لعباده المؤمنين، وكأنها تستثير شوقَ الإنسانِ إلى منزلِه الأول، ذلك الإنسان الذي خلقه الله ﷻ مِن قبل ولم يكن شيئًا مذكورًا وهداه السبيل، فتستثيره وتدفعه إلى أن يسير في طريق عباد الله الشاكرين.

والناظر في آيات ذكر نعيم أهل الجنة يجد أنها بدأت أولًا بذكر مشهد من مشاهد النعيم في الآيتين [٥-٦]، ثم اعترَض بذكر بعض أعمالهم الصالحة في الدنيا التي استحقوا عليها هذا النعيم في الآيات [٧-١٠]، ثم يمتد وصف مشاهد نعيمهم في الآيات من [١١-٢٢].

وكان أول ما صُدِّر به نعيمهم متعلقًا بشرابهم في الجنة ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾[الإنسان: ٥-٦]؛ لما فيه من الدلالة على أنهم في أنهى ما يكون من رغد العيش؛ لأنه يلزم مِن شرب خمر الجنة -على صفتها التي ذكرها الله ﷻ- جميعُ مقدماتها ومتمِّماتها من وجوه اللذة والنعيم[1].

وكأن الآيات لما أثارت أشواقهم بذكر ما يَختصر تفاصيل النعيم بذكر مشهده الأخير = أثارت في نفوس السامعين المريدين أن ينالوا مثلما نال هؤلاء[2]، فتساءلوا بلسان حالهم عن أعمالهم التي بلَّغتهم هذه المنازل العالية، فاعترَض بذكر بعض أعمالهم، ثم جاءت التتمة بذكر سائر مظاهر النعيم.

- **من أعمال الأبرار:**

ذكر اللهُ تعالى مِن أعمال هؤلاء الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾[الإنسان: ٧-١٠]، وقد رسمت هذه الأعمال صورةً لهؤلاء الأبرار وأحوال قلوبهم في عبادتهم لله ﷻ:

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٣٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٨٢).

- فهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾، ووفاؤهم بالنذر فيه كنايةٌ عن وفائهم بجميع أنواع العبادة؛ لأن من وفَّى بما أوجبه هو على نفسه كان لما أوجبه الله ﷻ عليه ابتداءً أوفى[1].

- ثم إن وفاءهم بالنذر فيه إشارة إلى أنهم يأخذون الأمر جدًّا خالصًا، لا يحاولون التفلُّت من تبعاته، ولا التخلِّي عنه بعد اعتزامه[2].

- ثم هم يخافون يوم القيامة ﴿يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾[الإنسان: ٧]، فهم مع عملهم ووفائهم بالنذر قلوبهم وجلة يخافون ربَّهم وعذابه.

- وفي إطعامهم الطعام دليل على حساسية قلوبهم ورقتها، وحيوية عاطفتهم، ورحمتهم بالخلق[3].

- ثم في قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨] دليل على شرف نفوسهم، وإيثارهم غيرهم على نفوسهم، مما يدل على استعلائهم على قلوبهم، وتحرُّرهم مِن سلطانها[4].

- ثم في الجمع بين الوفاء بالنذر والخوف من يوم القيامة، وكذا الجمع بين الإطعام وذكر الإخلاص والخوف مرة أخرى = دليل على جمعهم لصحة الاعتقاد مع حسن العمل[5].

فجمعت هذه الآيات بين العمل الذي ينتفع به صاحبه، والذي ينتفع به الناس، **كما جمعت** بين كرم الطبع بالوفاء بالنذر، وشرف النفس بإيثار الآخرين، **وجمعت أيضًا** بين صحة الاعتقاد وحسن العمل، فكانت هذه الآيات عنوانًا لأعمال أهل الإيمان التي استحقوا عليها وعد الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[الإنسان: ١١ -١٢].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٣٧).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٧٨١).
(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٧٨٢).
(٤) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٣٨).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٨٣).

وقد أجمل هذا الوعدُ الجميلُ الوقايةَ من العذاب: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾، والوعدَ بالنعيم: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

وفي النضرة الموعود بها إشارة إلى النعيم الظاهر، وفي السرور إشارة إلى النعيم الباطن[1]، فجمع الله ﷻ لعباده الأبرار الوعدَ بكل صور النعيم.

وكما أُجمل الوعد ونوعي النعيم؛ فقد أُجملت أعمالهم التي استحقوا عليها هذا النعيم المقيم في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ فإن الصبر جامع لأحوال التقوى والعمل الصالح[2]، والعمل الصالح لا يخلو من صبر؛ في الطاعات صبر عليها، وفي المعاصي صبر عنها.

فأجملت الآيتان أعمال المؤمنين وجزائهم، فسبحان مَن أنزل القرآن!

- **عودٌ إلى نعيم أهل الجنة:**

ثم تعودُ الآياتُ مرةً أخرى لِذكر مظاهر النعيم التي أعدَّها الله ﷻ لمن انتفع ببيان سبيل الهدى فاتَّبعه، يقول تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٣-١٤]، فذَكَرَ مجالسَهم التي يتكئون فيها على الأرائك، في نعيم لا يجدون فيه حرًّا ولا بردًا، ثم إن ثمارَ الجنة دانيةٌ منهم، ذلَّلها الله ﷻ لهم كما ذلُّوا له في الدنيا.

ويعودُ وصفُ شرابهم في الجنة مرة أخرى، ولكن توصف الآنية التي يشربون فيها هذه المرة، ويُذكر لونٌ آخرُ من شرابهم، فيقول ﷻ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٨].

ثم تصفُ الآياتُ خدمَ هؤلاء الأبرارِ في الجنة: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]، فهم ولدان مخلدون في جمال اللؤلؤ وكثرته وانتشاره.

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٤١-١٤٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٨٨).

ثم تنوِّه الآياتُ للملك الواسع لهؤلاء الأبرار في جنة الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان: ٢٠]، وأي مُلكٍ أعظم من مُلك هؤلاء الذين أحلَّ الله عليهم رضوانه؟!

ثم ذكر الله ﷻ لهم من صفات الملوك التي حباهم إياها في الجنة؛ فهم يلبسون ثياب الملوك، ويتحلّون بحلي الملوك، ويشربون شراب الملـوك: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان: ٢١].

ثم خُتمت الآيات بعد أن طوَّفت بقلوب الأبرار في رياض الجنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: ٢٢]؛ لتؤكِّد -مرة أخرى- أنهم استحقوا هذا النعيم لما بذلوا في هذه الدنيا وسلكوا سبيل الهدى الذي عرفهم الله ﷻ بـه، فكـان هـذا النعيم لهم ﴿جَزَاءً﴾، وشكر الله ﷻ لهم سعيهم في مرضاته، وهذا أعظم ما يرجوه الإنسـان؛ أن يرضى الله ﷻ عنه ويشكر له سعيَه.

- توجيهات للنبي ﷺ:

وبعد هذا الوصفِ للنعيمِ المقيمِ والذي طالت الآيات في وصفِه بما يُعلِي بـه الهمـمَ ويسمو بالنفوسِ؛ فإن لهذا النعيم طريقًا موصِلة لابد من سلوكها، ولهذه الطريق معالمُ لا بـد للسالكِ مِن معرفتها، وفيها عقباتٌ لابدَّ مِن الصبر في مواجهتها، والاستمساك فيها بالحق.

فجاءت هذه التوجيهات الإلهية للنبي ﷺ وأمته الكريمة مِن بعده بعد وصف مـآل مَن سلك سبيل الهدى، وكانت أوصاف الجنة قد انتهت بذكر الشراب الطهور الذي يُسقَاهُ أهل الجنة ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان: ٢١]، وإن كان هذا الشرابُ الطهورُ مِن شـأنه أن يُحيي ميت الأراضي؛ فإن العلم الذي منبعُه القرآن يُحيي ميت القلوب، فجاءت التوجيهات مصدَّرةً بامتنان الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ بتنزيل القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

- **مصدر التكليف:**

ويكفِي في توجيهِ العناية إلى هذه التوجيهات وما سيُذكَر في ثناياها مِن معالم هذا السبيل تصديرُها بما يدلُّ على مصدرِ هذا التكليف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وإذا عُلم أن مصدرَ هذه الرسالة هو الله ﷻ؛ فهي رسالةُ حقٍّ، لا يأتيها باطلٌ من بين يديها ولا من خلفها، فلابد لمتلقِّي هذه الرسالات والتوجيهات مِن يقين يملأ قلبه لينتفعَ بها.

وإذا عُلم أن مصدرها هو الله ﷻ وحده؛ فليُعلم أنه وحده الذي يأمر وينهى، وأن مصدر هذه العقيدة هو اللهُ وحده، فلا يُطاع أحدٌ فيما يُخالطها أو يُذهب صفوها، كما سيأتي التوجيه في الآية التالية.

وكذلك فإذا كان مصدر هذه التوجيهات هو الله ﷻ؛ فإنه المتكفل بحفظ رسالته، وحفظ رسوله ﷺ والدعاة إليه إذا هم التزموا أوامره التي أمرهم بها.

- **معالم السبيل:**

وإذا كان الله ﷻ قد أنزل القرآن عليك يا محمد ﷺ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]؛ فإن ذلك يقتضي منك وممَّن تبعك أن تعرفوا معالم هذا السبيل، وتلتزموا بالتوجيهات الإلهية للسير فيه:

- **فالطريق يحتاج إلى صبر وثبات:** ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤].

- **ومجابهةٍ للمكائد التي يحيكها أهل الكفر والعصيان، وعدم طاعتهم في إثمهم وكفرهم:** ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

- **واستعانة دائمة بذكر الله ﷻ وعبادته:** ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥ -٢٦].

- **وحامل هذه الرسالة يواجه نوعين من الكيد:** الأول ما كان فيه صلابة وشدة من مواجهة صريحة وإعراض فجٍّ، والثاني ما كان في قالب اللين والرغبة من المساومة في الباطل وعرض متاع الدنيا كالمال ونحوه على حاملي الرسالة[1].

فجاء الأمر بالصبر يواجَه به الأول: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾، والنهي عن طاعتهم يواجه به الثاني: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[الإنسان: ٢٤].

- وذِكرُ اسمِ الربِّ ﷻ المأمورُ به وإن كان المقصود به أولًا الذكر التعبدي اللساني؛ إلا إنه يشمل أيضًا الدعوة إلى الله ﷻ، والعبادات القولية المفروضة والنافلة، وكذلك موعظة الناس بتخويف عقابه ورجاء ثوابه[2].

- كما أن هذه التوجيهات تشير إلى أن الداعية إلى الله ﷻ ينبغي ألا تُشغله هموم دعوته ومكائد الأعداء عن عبادته وتزكيته الذاتية[3]؛ فهي الوقود له في دعوته والمثبِّت ليقينه وعقيدته، ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[الإنسان: ٢٤ -٢٥].

- **سبب إعراض المعرضين:**

ثم يذكر اللهُ ﷻ سببَ إعراض المعرضين؛ ليُعلَم حالُهم، ويَتجنَّبُ أهلُ الإيمان صفتَهم، فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٧]، فكان حبُّهم للدنيا على الآخرة سببًا لخسرانهم وإعراضهم عن الحق.

ووصفُ الدنيا بالعاجلة جمَع بين الإشارة إلى سبب حبهم لها وذم صنيعهم؛ فهم ما أحبوها إلا لقصور نظرهم على المحسوسات والإقبال عليها[4]، وهذا فيه إشارة لذمِّهم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٤٠٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٨/ ٥٣٠).

(٤) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ١٥٧).

إذ رضوا بالدون لأنه عاجل[1]، وأعرضوا عن اليوم الثقيل وهو يوم القيامة.

ثم ذكر اللهُ ﷻ طرفًا من مظاهر قدرته، وأنهم لا يعجزونه؛ فهو الذي خلقهم وسوَّاهم، وهو القادرُ على بعثهم بعد موتهم، والقادرُ على استبدال غيرهم بهم: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[الإنسان: ٢٨].

- **تقرير التذكرة بعد بسطها:**

وبعد هذا العرض لخلقِ الإنسان، والسبيلِ الذي ارتضاه له، وبيانِ مآل الفريقين: مَن سلك السبيل ومَن أعرض عنه، وذِكر معالم هـذا السبيل والتوجيهات المتعلقة به = يـأتي تقرير التذكرة بعد بسطها، مشعرًا بانتهاء المقصود، ومنبهًا إلى فائدته ووجه الانتفاع بـه، والحث على التدبُّر فيه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[الإنسان: ٢٩][2]، وكـأن الآية توقظ السامعين إلى الانتفاع بهذه التذكرة، فما زالت الفرصة في ذلك متاحة لهم.

ثم يتجلَّى مشهدُ المشيئة النافذة والقدرة الشاملة للرب الأعـلى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسـان: ٣٠]، ومِن مظاهر علمه وحكمته أنه ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الإنسـان: ٣١]، فيُجازَى أعظم الجزاء بما أعدَّه الله ﷻ لعبـاده الأبرار، أما مَـن لم يشأ له الهداية لما علمه تعالى من خُبث طيَّاتهم وسوء مقاصدهم فإنه لا يُـدخلهم في رحمتـه، وهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١].

فتجلَّى بإيجاز مصيرُ الفريقين المختلفين في هذا السبيل الذي بيَّنه الله تبارك وتعـالى في مطلع السورة، وبيَّن انقسامَ الناس فيه، لتُختَم السورة وقد عرَّفت الإنسانَ بأصلِه وطريقِـه ومصيرِه، وأجابت على أسئلته التي طالما حيرت كثيرًا من الناس ممن عاشـوا بعيـدًا عـن أنوار الوحي ورسالات الأنبياء.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٤٠٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٤١١).

المبحث الثالث:

المناسبة في الجمع بين سورتي السجدة والإنسان

قد سبق ما ثبت عن النبي ﷺ في قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الصبح من يوم الجمعة، ومع تدبُّر أغراض السورتين فإننا نقف على ألوانٍ مِن المناسبات بينهما، تصل قراءةَ الركعةِ الثانية بالأولى.

ومِن أوجه المناسبات بين السورتين:

- **أصل الخلق وغاية الوجود:**

في كلا السورتين تذكيرٌ بأصلِ خلقِ الإنسان، وذِكر الغاية من وجوده، إلا أن المتدبِّرَ لهما سيجد في الركعة الأولى في سورة السجدة **توسعًا في ذكر مراحل الخلق**، في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ -٩].

بينما تركِّز الآيات في الركعة الثانية في سورة الإنسان على **الغاية من وجود الإنسان، وبيان السبيلين**: سبيل النجاة وسبيل الهلاك، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان: ٢ -٣]، ثم بيان مصير كل من الشاكر والكفور.

- **أعمال أهل الإيمان:**

فقد جاء ذكر بعض أعمال أهل الإيمان في كلا السورتين:

أما في السورة السجدة ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السجدة: ١٥ -١٦].

وأما في سورة الإنسان: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٧ - ١٠].

فركَّزت الآيتان في سورة السجدة على خضوعهم وخشوعهم وتذلُّلهم لربهم ﷻ، **بينما جلَّت الآيات في سورة الإنسان** عن أثر هذا الخضوع في العمل الذي يتعدَّى نفعه للناس من إطعام الطعام وإعانة المحتاج، ليشمل ذلك صلاح الإنسان في نفسه وصلاحه بين الناس، والقيام بالعبودية على المستوى الشخصي وعلى المستوى الاجتماعي.

- **جزاء المؤمنين:**

وقد أُجمل جزاء المؤمنين في الركعة الأولى في سورة السجدة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧]، بينما جاء مفصَّلًا في الركعة الثانية في سورة الإنسان من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: ٢٢]، في موضع من أطول المواضع في القرآن سردًا لنعيم أهل الجنة.

ولعلَّ في هذا مناسبةً لصلاة الفجر التي تثقل على المنافقين، كما صحَّ ذلك عن النبي ﷺ: **«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ»** الحديث[1]، فغالبًا ما تتميَّز صفوف صلاة الفجر بأهل الإيمان المخلصين المشَّائين إلى بيوت الله ﷻ في الظُّلَم، فتتنزَّل عليهم هذه الآيات بردًا وسلامًا، وتدفعهم لمزيد من العمل والتقرُّب إلى ربهم.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧) كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، ومسلم (٦٥١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلُّف عنها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



- **القرآن وصفته:**

وفي كلا السورتين ذِكرٌ لصفة القرآن ومصدره، ففي سورة السجدة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[السجدة: ٢ -٣]، وفي سورة الإنسان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

- **تسلية النبي ﷺ:**

وفي كلا السورتين تسليةٌ للنبي ﷺ، وتوجيهٌ له في تعامله مع المعرِضين والمكذِّبين، وهو توجيهٌ للمؤمنين مِن بعده ممَّن اقتفى أثرُه ﷺ.

ففي الركعة الأولى في سورة السجدة أُمر **بالإعراض عنهم** إذا لم يستجيبوا للحق: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]، وفي الركعة الثانية في سورة الإنسان **نُهي عن طاعتهم في باطلهم**: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبهذا يظهر طرفٌ من المناسبة بين السورتين الكريمتين اللَّتين قرن بينهما النبي ﷺ في صلاته، والله تبارك وتعالى أعلم بمراده.



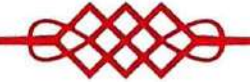
الفصل الخامس



سورة الجمعة

المبحث الأول: التعريف بسورة الجمعة.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة الجمعة.





المبحث الأول:

التعريف بسورة الجمعة



١) تسمية السورة:

لم يُعرف لهذه السورة اسمٌ سوى الجمعة في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير، واشتُهرت بهذا الاسم في عصر النبي ﷺ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة...) الحديث[1]، وورد هذا الاسم في عدد الأحاديث والآثار التي ستأتي في فضائل السورة.

وجه التسمية: وقوع لفظ الجمعة فيها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[الجمعة: ٩].

٢) فضائل السورة:

○ **ورد في فضل هذه السورة حديثٌ تشترك فيه مع ذوات آلر وحم والمسبِّحات والزلزلة:**

فعن عبد الله بن **عمرو** رضي الله عنهما، قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ** ﴿الٓر﴾»، فقال: كَبُرت سِنِّي، واشتدَّ قلبي، وغَلُظ لساني، قال: «**فَاقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حاميم**»، فقال مثل مقالته، فقال: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ المُسَبِّحَاتِ**»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورةً جامعة، فأقرأه النبي ﷺ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدًا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ**» مرتين[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٥) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، ومسلم (٢٥٤٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، وسيأتي بتمامه.

(٢) رواه أبو داود (١٣٩٩) كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، والبيهقي في «الشعب» (٢٥١٢) باب في تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٢١). =



○ ورد في فضل هذه السورة حديثٌ تشترك فيه مع المسبِّحات:

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبِّحات قبل أن يرقد، ويقول: «فِيهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»(١).

○ هذا بالإضافة لما يتعلق بقراءتها في صلاة الجمعة مع سورة المنافقون أو الغاشية:

فقد روى مسلم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما قراءةَ النبي ﷺ لسورتي الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، وروى عن النعمان بن بشير قراءةَ النبي ﷺ لسورتي الجمعة والغاشية(٢).

= وصححه الحاكم، وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وتعقبه الذهبي بقوله: (بل صحيح)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود (٢/ ٥٤٦): (إسناده حسن). وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(١) رواه أبو داود (٥٠٥٧) كتاب الأدب آداب النوم، باب ما يقال عند النوم، والترمذي (٣٤١٥) كتاب الدعوات، باب (٢٢)، وقال: (حديث حسن غريب)، وأحمد (١٧١٣٠) (٤/ ١٧٥-١٧٦)، والنسائي في «الفضائل» (٥١)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٢٠)، وجاء في آخره: (قال معاوية: إن بعض أهل العلم كانوا يجعلون المسبحات ستًّا؛ سورة الحديد والحشر والحواريين وسورة الجمعة والتغابن وسبح اسم ربك الأعلى). والحديث ضعيف؛ ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه للسنن.

فائدة تتعلق بالمسبِّحات: بعضهم يُضيف سورة الإسراء إلى المسبِّحات لافتتاحها بالتسبيح بصيغة المصدر [انظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (ص: ٢٦٨)].

وتسمى المسبِّحات أيضًا بعرائس القرآن [نفسه (ص: ١٩٢)].

وقد اختُلف في هذه الآية التي هي أفضل من ألف آية؛ فقال ابن كثير: (الآية المشار إليها في الحديث هي -والله أعلم-: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]). [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧١)].

وقال يحيى بن أبي كثير: (فنراها الآية التي في آخر سورة الحشر) [فضائل ابن الضريس (ص ١٠٤)].

وإخفاء الآية فيها كإخفاء ليلة القدر في الليالي، وإخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وانظر: شرح الطِّيبي (٤/ ٢٥٦)، وأسماء سور القرآن وفضائلها -منيرة الدوسري (ص: ٢٥٢ -حاشية).

(٢) سبق ذكر الأحاديث وتخريجها، انظر: فصل: السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤٢).



٣) عدد آيات السورة:

إحدى عشرة آية بلا خلاف[(١)].

٤) زمن النزول:

سورة الجمعة مدنية، وقد ذكرها السيوطي في السور المختلف فيها، وقال: (الصحيح أنها مدنية)[(٢)].

والقول بمكيَّتها نقله السخاوي رحمه الله[(٣)].

وهو ضعيف، بل قد نُقل الإجماع على مدنيتها[(٤)].

قال ابن عطية رحمه الله مخطئًا القول بمكيتها: (ذكر النقاش قولًا إنَّها مكية، وذلك خطأٌ ممن قاله؛ لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك أمر الجمعة لم يكن قط بمكة، أعني إقامتها وصلاتها، وأما أمر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدينة)[(٥)].

٥) سبب نزول السورة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثًا في سبب نزول آية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان

---

(١) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٤٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٣٤).

(٣) قال السخاوي: (وقيل مكية). [«جمال القراء» (١/ ١٨)].

(٤) قال القرطبي: (مدنية في قول الجميع) [الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٩١)]، وقال البقاعي: (مدنية إجماعًا) [مصاعد النظر (٣/ ٨٣)].

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥/ ٣٠٦).

تنبيه: تتمةُ كلام ابن عطية: (وذكر النقاش عن أبي هريرة قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة وهذا أيضًا ضعيف؛ لأن أبا هريرة إنما أسلم أيام خيبر) (٥/ ٣٠٦).

قلتُ: وفيه نظر؛ لأن حديث أبي هريرة في الصحيحين، كما سيأتي في سبب نزول السورة، ولا يمتنع أن يكون نزول السورة متأخرًا، والله تعالى أعلم.

يخطب قائمًا يوم الجمعة، فجاءت عِيرٌ من الشام، فانفتل الناسُ إليها، حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلًا، فأُنزِلت هذه الآية التي في الجمعة: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ [الجمعة: ١١][(١)].

وذكره جمهور المفسرين سببًا لنزول الآية[(٢)]، كالطبري[(٣)] والبغوي[(٤)] وابن العربي[(٥)] وابن عطية[(٦)] والقرطبي[(٧)] وابن كثير[(٨)] وابن عاشور[(٩)].

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٦) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾، ومسلم (٨٦٣) كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾.

(٢) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، د. خالد بن سليمان المزيني (٢/ ١٠١١-١٠١٢).

(٣) جامع البيان (٢٨/ ١٠٣-١٠٥)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٤) معالم التنزيل (٤/ ٣٤٥).

والبغوي: هو محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغويّ الفقيه الشافعي، نسبة إلى «بغا» من قرى خراسان، ولد سنة ٤٣٦هـ وكان إمامًا في التفسير والحديث والفقه، وكان ورعًا زاهدًا بورك في مصنفاته، ومنها: «معالم التنزيل في التفسير»، و«شرح السنة»، وتوفي سنة ٥١٠هـ بمرو الروذ.

انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ١٦٢)، والأعلام، للزركلي (٢/ ٢٥٩).

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٨٠٩).

وابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ ورحل إلى المشرق، وكان من أهل التفنُّن في العلوم والاستبحار فيها، متقدمًا في المعارف كلها، وصنَّف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، من تصانيفه: «أحكام القرآن»، و«العواصم من القواصم»، و«عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، وتوفي سنة ٥٤٣هـ، ودُفن بفاس.

انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ١٦٧)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٣٠).

(٦) المحرر الوجيز (١٦/ ١٣)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٠٩)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٦٧).

وابن كثير: هو الحافظ أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصروي ثم الدمشقي، الشافعي، ولد سنة ٧٠٠هـ وقدم دمشق وصاهر الحافظ المزي، وصحب ابن تيمية، انتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وله التفسير المشهور، وموسوعة التاريخ «البداية والنهاية»، وتوفي سنة ٧٧٤هـ.

انظر: شذرات الذهب (٦/ ٢٣٠)، والبدر الطالع (١/ ١٥٣).

(٩) التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٠٥-٢٠٦، ٢٢٨)، وسبق ترجمة المؤلف.

وقد ورد في ملابسات نزول السورة ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: (كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة...) الحديث[1]، وظاهره أن سورة الجمعة نزلت جملةً واحدةً، وقد استفيد من ذلك في القراءة الموضوعية للسورة كما سيأتي في المبحث الثاني.

٦) محور السورة:

تحتوي سورة الجمعة على عددٍ من الموضوعات؛ ففيها تنزيهُ الله ﷻ، وامتنانُه على الناس ببعثة النبي ﷺ، وبيانُ مهامه ﷺ ومقاصد هذه البعثة، وذكرُ حال اليهود مع التوراة، والردُّ على دعواهم الباطلة في كونهم أولياء الله تعالى، ثم الختامُ ببيان أحكام صلاة الجمعة.

إلا أن المحور الرئيس الذي تدور حوله السورة هو الموضوع الذي خُتمت به، وقد ذكر أكثر المفسرين ممن لهم عناية بذكر مقاصد السور أن مقصدها هو بيان أحكام صلاة الجمعة[2].

ومما يدعم ذلك: اسم السورة «الجمعة» الذي لم يرد غيره في تسميتها، وكذلك سبب النزول الوارد فيها، ثم بالقراءة الموضوعية للسورة يتبين تسلسل أفكارها وتناسبها، ورغم أنَّ ما يتعلق بالجمعة قد جاء في ختامها؛ إلا إن ما سبقه من آيات كان كالتمهيد والتوطئة له، كما سنبيِّن بإذن الله[3].



(١) رواه البخاري (٤٦١٥) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، ومسلم (٢٥٤٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، وسيأتي بتمامه.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٢٠/ ٤٤)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، له (٣/ ٨٣-٨٤)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٥٦٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ١٨٤).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٨/ ١٤٥-١٤٦).

المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة الجمعة

قراءة إجمالية من خلال سبب النزول:

إن هذه السورة نزلت كي تعالجَ خطأً صدر من بعض المسلمين، وهذا الخطأ له ما وراءه مِن التصورات والسلوكيات والتي تحتاج إلى تصحيح، وسبب النزول ظاهرٌ في أن السورة قد نزلت جملةً واحدةً، وأن نزولها كان متأخرًا عن فرضية صلاة الجمعة.

أما عن نزولها جملة واحدة فهو ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، **إذ نزلت عليه سورة الجمعة**، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[الجمعة: ٣] قال رجلٌ: مَن هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعْه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا؛ لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**»)[(١)].

فظاهر الحديث أن السورة نزلت جملةً واحدةً، مما يُوحي بأن السورة من أولها إلى آيات صلاة الجمعة كانت كالتمهيد والتوطئة لهذا التوجيه الإلهي المتعلق بسبب نزولها مَن انصراف المسلمين في صلاة الجمعة لعِير الشام كما في حديث **جابر** رضي الله عنه، مما يَستدعي الوقوف مع هذه التوطئة، وتدبر مناسبتها لختام السورة.

أما عن كون نزولها متأخرًا عن فرض الجمعة؛ فلأن راوي الحديث **أبا هريرة** رضي الله عنه أسلم يوم خيبر[(٢)]، وصلاة الجمعة قد شرعت قبل ذلك.

(١) رواه البخاري (٤٦١٥) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، ومسلم (٢٥٤٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٣٥٥).

وهذا يعطينا تصورًا واضحًا للظروف المحيطة بنزول السورة؛ فقد شرع الله ﷻ للمسلمين صلاة الجمعة، وصار الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي، وكان هذا في مجتمع المدينة الذي يساكنُهم فيه اليهود، والذين كانوا يعظِّمون يومَ السبت، فكان هذا اليوم هو المعروف في تلك البلاد، فلما تفضَّل الله على المسلمين بأن خصَّهم بيوم الجمعة حَسَدَ يهودُ المدينة المؤمنين على تشريفهم بهذا اليوم، وسبق ذلك حسدُهم للمؤمنين على بعثة النبي ﷺ مِن بين العرب، وهم مَن كان يزعم أنهم أولياء الله وأحباؤه، فجاء في سورة الجمعة الردُّ على كل هذه المزاعم:

أما عن حسدهم المؤمنين على بعثة النبي ﷺ من بين العرب، وقد كانوا من قبل يستفتحون بذكره على الذين كفروا، كما أخبر ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؛ فقال الله ﷻ في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فهو الذي بعثه ﷺ وشرَّف العرب بهذا الفضل، والله ﷻ يختص بفضله مَن يشاء، ثم ذكر حال اليهود مع كتاب الله ﷻ الذي أرسله إليهم قبلُ، وكيف أنهم حُمِّلوه فلم يَحمِلُوه ولم يعملوا بما فيه، وضرب لهم مثالًا تنفر منه النفوس، فقال تعالى في صفتهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة: ٥].

أما زعمهم أنهم أولياء لله تعالى مِن دون الناس؛ فقد جاءت الحجة القاطعة لمزاعمهم؛ فإن كانوا صادقين في زعمهم فليتمنوا الموت، فإنهم إن كانوا على هذا اليقين من الولاية فإن ما عند الله خير لهم! وأنَّى لهم الولاية، وأنَّى لهم أن يتمنى أحدهم الموت، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الجمعة: ٦ - ٧].

أما حسدُهم المؤمنين على ما شرَّفهم به من يوم الجمعة وما يتعلق به من شعائر؛ فتأتي الآيات في آخر السورة -والتي هي المحور الرئيس للسورة- لتبيِّن ما شرعه الله ﷻ لعباده المؤمنين مِن تعظيم هذا اليوم، وأمرهم بإجابة ندائه وترك ما يتعلق بالدنيا.

ويتبقَّى هذا التمهيد الذي استغرق أكثر من ثلثي السورة، والذي سبق التوجيه الإلهي المتعلق بصلاة الجمعة والذي كان سبب نزول السورة = مما يَحتاج إلى تدبُّر مكوِّناته ومناسباته وتسلسله؛ حتى تصل السورة بسامعها وتاليها إلى التوجيه الختامي ليستقرَّ في النفس بيقين ووضوح.

نحن أمام شَعيرةٍ عظيمةٍ مِن شعائر المسلمين، وهي خطبةُ الجمعة وصلاتُه، بما يتعلق بهما مِن اجتماع للمسلمين، وإظهار التعظيم لهذا اليوم الذي اصطفاه الله لهم، وسماع الذكر والانتفاع به، إلى آخر ذلك من المظاهر التي تتعلق بصلاة الجمعة.

ونحن -أيضًا- أمام زلَّة شديدة؛ فبينما رسول الله ﷺ قائم يخطب؛ إذ تجيء تجارة من الشام، فينفض الناس إليها ويتركون رسول الله ﷺ على منبره، ولا يتبقى منهم بالمسجد إلا القليل!

إن علاج هذا الخطأ لا يتعلَّق بصلاة الجمعة فحسب، ولا يُكتفى فيه بأمرٍ مجرَّد أو نهيٍ مجرَّد؛ بل يمتدُّ ليشمل تصحيح التصورات وترسيخ المفاهيم التي تليق بأمة اصطفاها الله ﷻ وحمَّلها أمانة الرسالة إلى العالم أجمع، لذلك لا يقتصر وجهُ مناسبة تخصيص هذه السورة بهذا اليوم الشريف على ما ورد في آيها من ذكر صلاة الجمعة وأحكامها؛ بل لما فيها أيضًا من تذكير بقضايا كبرى يحتاج المسلمون أن يتذكروها، وأن تُكرَّر عليهم مرة بعد مرة.



من هدايات سورة الجمعة:

- **افتتاح السورة بالتسبيح:**

تبدأ السورة بالتسبيح: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، فكُلُّ الكون وكلُّ ما في السماوات والأرض يسبِّحون اللهَ ﷻ، وكأنَّ في الآية تعريضًا بهؤلاء الذين لم يُتمُّوا الجمعة وانصرفوا إلى التجارة عن سماع الذكر، فإن كانوا فعلوا ذلك فإنَّ لله عبادًا يسبِّحونه لا يفترون!

ثم كأن في الفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ مزيدًا من التبكيت لهم؛ فتسبيح هذه الكائنات متجدد مستمر، فأولى بكم أن تنتظموا في منظومة الكون، تسبحون الله مع من يسبح[١].

وكذلك في التعبير بالضمير ﴿مَا﴾ مزيدٌ من التقريع بعبادة الصامت غير العاقل، فإن كان هذا حال غير العقلاء فالعقلاء أولى بذلك[٢].

- **الأسماء الحسنى في افتتاح السورة:**

ثم يختصُّ التسبيحُ في هذه السورة من بين سائر المسبحات[٣] بأربعة أسماء من أسماء الله الحسنى سوى اسمه (الله): ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، ولا يمكن المرور بهذه الأسماء دون النظر في علاقتها بمحور السورة.

إن الله ﷻ يعرِّف عبادَه بنفسه، وإن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي التي تؤهِّل القلبَ لتلقِّي هدايات القرآن، وتهيِّئ الجوارحَ لامتثال أوامر الله ﷻ والانتهاء عما نهى عنه، خاصة في حدث مثل حدث انصراف مَن انصرف أثناء خطبة الجمعة، والذي خُتمت السورة بذكره.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٢٠٦).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٢٠/ ٤٥).

(٣) **المسبِّحات**: السور التي تبدأ بالتسبيح، وانظر الكلام عن المسبِّحات (ص: ١٥٤ - حاشية) من هذا البحث.

فاسمُ الله المَلك: فيه دلالة على أنه سبحانه وتعالى له جميع ما في العالم العلوي والسفلي، وأن كلَّ ما في الكون عبيد له ومضطرون إليه، وأنه ﷻ له التصرُّف المطلق في خلقهم، وفي أمرهم ونهيهم، وجزائهم سبحانه وتعالى[1]، فناسب ذكرُ هذا الاسم الشريف ما جاء من ذكر التجارة التي سارعوا إليها ابتغاء الكسب.

أما القُدُّوس: فهو المنزَّه عن كلِّ عيب ونقص، فناسب ذكر هذا الاسم الشريف ما جاء من ذكر اللهو الذي انصرفوا إليه عن ذكره[2].

فمن تيقن أن الله ﷻ الملك لم ينصرف إلى تجارة عن عبادته، ومن تيقَّن أن الله ﷻ قدوس لم ينصرف إلى لهو يُشغله عن أوامره.

وكذلك فإن الملك لا يُنصرف عن حضرته إلا بإذنه، والقدوس يُرغَب في حضرته والجلوس إليه وسماع كلامه[3].

والعزيز: الذي من آثار عزته أن يَعِزَّ مَن اقترب منه وأن يَذِلَّ من ابتعد عنه، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فمَن فارق حضرته وذكره فرط في نصيبه من العزة.

والحكيم: الذي مِن آثار حكمته أن مَن فارقه وأعرض عن ذِكره فاتته الحكمة، كما فات مَن فارق الخطبة كثيرٌ من العلم والثواب[4].

فمن تيقَّن أن الله هو العزيز الحكيم لم يفرِّط في حظه مِن العزة والحكمة لانشغال بمتاع زائل بمتاع الدنيا.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٥/ ٦٢٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٥٦٤)

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٢٠٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٢٠٧).

فهي تربية بمعرفة أسماء الله وصفاته، وتأهيل لقلوبهم لتلقي الأمر المتعلق بإجابة نداء الجمعة وترك الانشغال بالبيع ونحوه من أمور الدنيا.

ثم لما كان الملك يدبِّر أمرَ عباده ويُصلح شئونهم ومِن أعظم ذلك أن يرسل إليهم رسولًا، والقدوس يزكِّي نفوسهم، والعزيز يُلحق الأميين من عباده بالمراتب العالية ويخرجهم من ضلالهم، والحكيم يعلمهم الحكمة والشريعة، وله الحكمة سبحانه في اصطفائهم واصطفاء رسوله إليهم = فقد أرسل اللهُ ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ إليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وله الحكمة فيما قدر وفيما شرع سبحانه وتعالى[1]، وهو ما أشير إليه في الآيات التالية.

- **المنة ببعثة النبي محمد ﷺ:**

بعد هذا الاستفتاح المبهر؛ يمتنُّ الله ﷻ على المؤمنين ببعثة النبي محمد ﷺ التي هي من لوازم كونه ملكًا قدوسًا عزيزًا حكيمًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: ٢]، وهو من آثار الأسماء الأربعة التي استفتحت بها السورة: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الجمعة: ١].

ثم في إشارة إلى عالمية هذه الرسالة ودوامها يقول تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]، كما ورد في تفسيرها لما وضع النبي ﷺ يده على سلمان الفارسي وقال: «**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**»[2]، وهو من باب تفسير العام ببعض أفراده.

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي، رِجَالًا وَنِسَاءً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، ثم قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٢٠٧).
(٢) سبق تخريجه ص (١٥٨).



لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الجمعة: ٣][(١)].

فيدخل في هـؤلاء الآخرين كلُّ مَن لحق بأصحاب النبي ﷺ في إسلامهم من جميع الأمم[(٢)].

فتلك منةٌ عظيمة، تتبعها أمانة جليلة ورسالة شريفة حمَّلها الله ﷻ لهذه الأمة جيلًا بعد جيل، ولا شك أنها تستلزم إعدادًا نفسيًّا وتربويًّا يليق بقدرها ومكانتها؛ حتى تستطيع أن تنهض بهذه المهمة كما ينبغي، وهذا مِن حكم مشروعية صلاة الجمعة ذات الدلالات الخاصة والدروس التربوية الجمَّة[(٣)].

وكل هذه المِنن مِن بعثة النبي ﷺ فيهم، وتلاوته الآيات عليهم، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، وإنقاذهم من الضلال المبين = كل ذلك مِن فضل الله ﷻ المحض على هذه الأمة ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[الجمعة: ٤]، فلم يكن لها سابقةٌ بمثله، ولا لحاقٌ بالأمم الأخرى، فرَفَعها اللهُ ﷻ بآياته وبنبيه ﷺ.

ولا شك أن هـذه المننَ تستوجب مِن الأمة شكرًا بالامتثال لشرع الله ﷻ، وعدم الانشغال بالمُلهيات عنه، وكذا تذكِّرهم برسالتهم السامية التي لا يليق معها أن ينفضُّوا إلى تجارة أو لهو عن الذكر وتلقِّي الحكمة من فَمِ النبي ﷺ.

- **ذكر حال اليهود:**

ولما كانت هذه الأمانة العظيمة تستدعي مِن الأمة أن تقوم بها كما أمر الله تعالى،

---

(١) رواه الطبراني (٦٠٠٥) (٦/ ٢٠١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): إسناده جيد.

(٢) قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: (عُني بذلك كلُّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ ﷺ في إسلامهم من أيّ الأجناس؛ لأن الله ﷻ عمّ بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كلَّ لاحق بهم من آخرين، ولم يخصِّص منهم نوعًا دون نوع، فكلُّ لاحق بهم فهومِن الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأوَّلين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله). [«جامع البيان»، ابن جرير الطبري (٢٢/ ٦٣١)].

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٨/ ١٥٠).

وأن تلتزم بالأوامر والتوجيهات التي تؤهِّلها للقيام بها = **فقد ذكر الله تعالى أنموذجًا لأمة مِن الأمم التي حُمِّلت أمانة، ولكنها لم ترعَهَا حقَّ رعايتها،** ولم تقم بها كما أمر الله تعالى، فذكر اللهُ ﷻ حالَهم، ووصفهم بصفةٍ تنفر منها النفوس.

إنهم أمة اليهود ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الجمعة: ٥]، فهؤلاء حُمِّلوا أمانةً فلم يقوموا بحقها، فكان شأنهم شأنَ الحمار الذي يحمل أسفارًا على ظهره، ولا يفقه منها شيئًا، فظاهر الأمر أنه يحمل، ولكن حقيقته أنه لم ينتفع بشيءٍ مما حمل!

ومن عدم قيامهم بحقِّها ما زعموه من كون النبي ﷺ بُعث للعرب خاصة لا لهم، فناسب أن يأتي هذا التفريع بعد قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾[الجمعة: ٢]؛ فإنهم لو عملوا بما في التوراة لما قالوا ما قالوه، ولآمنوا به ﷺ[1].

وإن كان تعظيم يوم السبت قد انزوى في مجتمع المدينة، وحل محلَّه تعظيم يوم الجمعة الذي تفضَّل الله به على المسلمين، وإن كان ذلك قد أثار حسدهم وأحقادهم على المسلمين؛ إلا أنه لم يكن وحده؛ فثمة أحقادٌ أخرى وضغائنُ نفوسٍ أثارها هذا الاستبدال، وهيَّجها خروج المسلمين إلى صلاة الجمعة في كل أسبوع، فجاءت الآيات متتابعة تأتي على بنيانهم من قواعده!

فإن كنتم تحسدون العرب أن بُعث منهم النبي الخاتم ﷺ ولم يُبعث منكم فإن ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الجمعة: ٤]، وكذلك الأمر في حسدكم المسلمين على ما امتنَّ الله به عليهم من يوم الجمعة، وما يتعلق به من شعائر سامية.

ثم يُضرَب لهم مثلُ السوء في عدم قيامهم بما حُمِّلوه من رسالات الله سبحانه وتعالى لهم:

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي (١٠/ ٥٣٩)، وروح المعاني، الآلوسي (٢٧/ ١٤٠)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ١٩١).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، وصار حالهم مثلًا يُوعظ به الناس إلى قيام الساعة ليتجنبوه ويحذروه: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وما كان ذلك ظلمًا لهم؛ إنما وقع بسبب ظلمهم وطغيانهم: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الجمعة: ٥].

ثم رُدَّ عليهم في زعمهم أنهم أولياء الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٦-٨].

- **رسالات لأهل الإيمان أيضاً:**

وفي كل هذه الرسالات في تبكيت اليهود والرد عليهم = رسالاتٌ لأهل الإيمان على مرِّ الدهر؛ فلتَحذروا أن تكونوا ممن يُحمَّل الأمانة ثم لا يحملُها، وإن الانصراف عن خطبة نبيِّكم ﷺ وهو على منبره مِن علامات ذلك، كما روي في حديث فيه ضعف: «**مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ؛ فَهُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**»[1]، فاحذروا -يا مَن تسمعون حال هؤلاء المخذولين من اليهود- أن يشابه حالُكم حالَهم الذي صار مَثَل سَوءٍ للعالمين.

ولتعلموا أنه ليس بين الله ﷻ وأحد من خلقه نسبٌ، وإن كان الله قد اصطفاكم وشرَّفكم ببعثة النبي محمد ﷺ؛ فإن بقاء هذا الشرف لكم مرهونٌ بقيامكم بحقِّه، ومنه: امتثالُكم لأوامره وانتهاؤُكم عن نواهيه، وليس الأمرُ مجرَّدَ دعوى تُدَّعى دون عمل، وإلا فثَمَّ قومٌ افتخروا بأن آتاهم الله ﷻ الكتاب والعرب لا كتاب لهم، فأبطلَ الله فخرَهم وشرفَهم المزعوم، فشبَّههم بالحمار يحمل أسفارًا[2].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٣٠) وغيره من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ضعيف، وضعفه محققو المسند -ط. الرسالة (٣/ ٤٧٥).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٥٣٢).

ولتتذكَّروا أن مصير الإنسان إلى الموت وإن فرَّ منه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨]، فمن أدرك هـذه الحقيقةَ وجعلـها نُصب عينيه هانت عليه الدنيا، ولم ينشغل بمتاعها ولهوها وتجارتها عن أوامر الله ﷻ.

- تمهيد وتوطئة:

وكأن هـذه الآياتِ ترسم منهجًا في تزكية النفس وتهذيبـها، وتصحيح التصـورات وتصويبها، يُبنى عليه بعد ذلك هذا التوجيه الإلهي بإجابة نداء الجمعة وترك الانشـغال عن الجمعة بشواغل الدنيا، **فلا يقتصر التوجيه على الأمر والنهي المجرَّدَين؛ بل يوطَّأ لـه بمنهج يؤهِّـل النفس الإنسانية لتلقي رسالات الله ﷻ وامتثالها**، ومن ثَمَّ تحمُّـل الأمانـة العظمى على المستوى الشخصي، وعلى ما هو أعظم من ذلك في حمل رسالة الإسـلام إلى الناس أجمعين.

ثم تُختـم السورة بالغرض الذي نزلت مِن أجله، فيأتي الأمر لأهل الإيمان بإجابـة نـداء الجمعة والسعي إلى ذكر الله، وهو الخطبـة[١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩].

ثم الإذن بالانتشار في الأرض والعـمل والسعي والكسب بعد الانتهاء من الصلاة ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾، وهذا من التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي[٢]، ويظلُّ ذكر الله ﷻ على لسان المسلم في جميع أحواله، لا يقتصر على حال الصلاة بل يمتد ليشمل شئون حياته، بل يُعلق عليـه الفـلاح: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١) روى ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾: (العزمة عند الذكر عند الخطبة)، وعن سعيد بن المسيب: (موعظة الإمام، فإذا قضيت الصلاة بعد). [«جامع البيان»، ابن جرير الطبري (٢٣/ ٦٤٢)].

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٥٧٠).



ثم إن كان مشهد انصرافهم عن الخطبة ورسول الله ﷺ قائم على منبره مشهدًا مؤلمًا وتصرفًا لا يليق بحملة الرسالة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١]؛ فهذه قاعدة قرآنية متى استقرَّت في نفوس أهل الإيمان لم يتكرَّر منهم مثل هذا المشهد، ولم يستجدَّ ما قد يشابهه مما يشترك معه في سببه وإن كان في أمور أخرى، ألا وهي: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، فليس الغنى في البيع والتجارة، إنما هو في متابعة أمر مَن أحل البيع وأمر به، وشرع ما هو خير منه تزكية وبركة ونماء في الظاهر والباطن[1].

إنه درسٌ تربويٌّ للأمة كلها إن أرادت حملَ هذه الأمانة أن تتخلص من أخطر العوائق التي تحول بينها وبين أداء الأمانة كما ينبغي، متمثِّلة في: الانشغال بالدنيا عن الآخرة، والرغبة العاجلة في الربح الدنيوي والانصراف إلى اللهو ولو على حساب أمور الآخرة، والغفلة عن الميزان الذي توزن به الأمور ﴿مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

سورة الجمعة ويوم الجمعة:

لا يخفى ما في قراءة هذه السورة العظيمة في صلاة الجمعة من تذكير بفضل هذا اليوم العظيم الذي هدى الله ﷻ له أمة محمد ﷺ دون سائر الأمم، والذي يقتضي تعظيمَه وعدمَ التفريط فيه والتهوين من شأنه، مع ما في السورة من التحذير من اليهود الذين حسدوا هذه الأمة على تشريف الله لهم بهذا اليوم العظيم.

إضافة إلى ما في السورة من علاج لآفة التعلق بالدنيا باجتثاث جذورها من القلب، من تعريف بالله ﷻ وما ينبغي على العبد في مقام العبودية، وتذكير بنعم الله ﷻ على هذه الأمة، والأمانة التي تتحمَّلها والرسالة التي يجب عليها إبلاغها للعالمين.

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢٠/ ٧٢).

الفصل السادس



سورة المنافقون

المبحث الأول: التعريف بسورة المنافقون.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة المنافقون.

المبحث الثالث: المناسبة في الجمع بين سورتي الجمعة والمنافقون.





المبحث الأول:

التعريف بسورة المنافقون

١) تسمية السورة:

سُمِّيت هذه السورة «**سورة المنافقون**» بالرفع على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وبذلك كُتبت في المصاحف وبعض كتب التفسير، وسميت في بعضها (سورة المنافقين) على الإضافة، وبذلك وردت الأحاديث، كما في حديث زيد بن أرقم، وفيه: (فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين)[١].

ووجه التسمية: ما جاء في السورة من ذكر لمواقف المنافقين من رسول الله ﷺ والمؤمنين وذكر صفاتهم، وتحذير المؤمنين منهم ومن التشبه بهم.

وسُمِّيت ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ كما في أثر ابن أبي رافع، قال: (استخلف مروانُ أبا هريرة على المدينة، وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة، فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الآخرة: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾..)[٢]، وعنون لها الثعالبي به في تفسير السورة[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣١٣) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المنافقين، وقال: هذا حديث حسن، وأصله في الصحيحين، وسيأتي بتمامه في سبب نزول السورة.

(٢) رواه مسلم (٨٧٩) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، وقد سبق ص(٤٢).

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (٤/ ٣٠٣).

الثعالبي: هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، ولد سنة ٧٨٦هـ، وزار تونس والمشرق، ومن كتبه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، و«الأنوار»، و«روضة الأنوار ونزهة الأخيار»، و«ذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز»، وتوفي سنة ٨٧٥هـ.

انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٤/ ١٥٦).



٢) فضائل السورة:

○ ما ورد في قراءتها في صلاة الجمعة مع سورة الجمعة:

فيما رواه مسلم عن ابن عباس وأبي هريرة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة [١].

٣) عدد آيات السورة:

إحدى عشرة آية بلا خلاف [٢].

٤) زمن النزول:

سورة المنافقون مدنية بلا خلاف [٣].

٥) سبب نزول السورة:

روى البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله ابن أُبيّ ابن سلول يقول: لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا، وقال أيضًا: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل.

فذكرتُ ذلك لعَمِّي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله ابن أبيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسول الله ﷺ وكذَّبني، فأصابني همٌّ لم يُصِبْني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧] إلى قوله:

---

(١) سبق ذكر الحديثين وتخريجهما، انظر (ص: ٢٧).

(٢) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٤٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥/ ٣١١)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/ ١٢٠). ولم يذكرها السيوطي في «الإتقان» في السور المختلف فيها. [انظر: «الإتقان في علوم القرآن» - فصل في تحرير السور المختلف فيها (١/ ٣٠، وما بعدها)].

﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ، فقرأها عليَّ، ثم قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ»[١].

وزاد عند مسلم: قال: ثم دعاهم النبيُّ ﷺ ليستغفر لهم، فلوَّوا رءوسهم، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال: كانوا رجالًا أجمل شيء.

وفي رواية الترمذي زيادة تفصيل في قصة مقولة عبد الله بن أبيٍّ؛ روى بسنده عن زيد بن أرقم، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ[٢] وكان معنا أناسٌ من الأعراب، فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا إليه، فسبق أعرابيٌّ أصحابَه، فيسبق الأعرابيُّ فيملأ الحوض، ويجعل حوله حجارة، ويجعل النِّطَعَ[٣] عليه حتى يجيء أصحابه.

قال: فأتى رجلٌ مِن الأنصار أعرابيًّا فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع قِباضَ الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجَّه، فأتى عبدَ الله بن أُبيٍّ رأسَ المنافقين فأخبره وكان من أصحابه، فغضب عبدُ الله بن أبيٍّ، ثم قال: لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، يعني الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا مِن عند محمد فأتوا محمدًا بالطعام، فليأكل هو

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٨) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٢) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

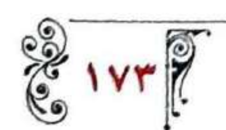
(٢) وكان ذلك في غزوة بني المصطلق في العام الخامس من الهجرة النبوية.

قال ابن عاشور: (والصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، ووقع في جامع الترمذي عن محمد بن كعب القرظي أنها نزلت في غزوة تبوك، ووقع فيه أيضًا عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق، وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع.

ورجح أهل المغازي وابن العربي في «العارضة» وابن كثير أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، وهو الأظهر؛ لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل» يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين، وكان أمرهم كل يوم في ضعف، وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوءة وقد ضعف أمر المنافقين).

[«التحرير والتنوير» (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢)].

(٣) النِّطع: بساطٌ من الأَدِيم. [«تاج العروس» (٢٢/ ٢٦١)].



ومَن عنده، ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ.

قال زيد: وأنا رِدْفُ رسول الله ﷺ، قال: فسمعتُ عبدَ الله بن أبي، فأخبرتُ عمِّي، فانطلق فأخبر رسولَ الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، فحلف وجحد، قال: فصدَّقه رسول الله ﷺ وكذَّبني.

قال: فجاء عمي إليَّ، فقال: ما أردتَ إلا أن مَقَتك رسولُ الله ﷺ وكذَّبك والمسلمون، قال: فوقع عليَّ مِن الهمِّ ما لم يقع على أحد.

قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقتُ برأسي من الهم؛ إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرَك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخُلْدَ في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئًا، إلا أنه عرَكَ أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين[(١)].

وذكره جمهور المفسرين سببًا لنزول الآية، كالطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور[(٢)].

٦) محور السورة:

تتجلى الوحدة الموضوعية في «سورة المنافقون»؛ حيث تتناول من بدايتها إلى نهايتها

---

(١) رواه الترمذي (٣٣١٣) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المنافقين، وقال: هذا حديث حسن، وأصله في الصحيحين، راجع الحديث السابق.

(٢) جامع البيان (٢٨/ ١٠٨-١٠٩)، معالم التنزيل (٤/ ٣٤٨-٣٤٩)، أحكام القرآن (٤/ ١٨١٢)، المحرر الوجيز (١٦/ ١٩-٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٢٠-١٢٢)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٦٩)، التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٣٢).

وانظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، د. خالد بن سليمان المزيني (٢/ ١٠١٥-١٠١٧).

ذِكرَ المنافقين وصفاتهم، وتفضحهم وتذكر خبايا صدورهم، ثم تُختَم بتحذير المؤمنين من أن يشابهوا المنافقين في اغترارهم بزينة الدنيا، والذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه.

وإن كانت هناك سور متعددة ذكرت صفات المنافقين وأحوالهم؛ إلا إن هذه السورة تكاد تكون مقصورةً على الحديث عنهم، وليس فيها عدا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما يُلصِق بهم صفةَ المنافقين[1].

واسم السورة «**المنافقون**»، وكذلك سبب النزول الوارد فيها = يزيدان هذه الموضوع الذي تدور حوله آيات السورة جلاءً ووضوحًا.



(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٥٧٢).

المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة المنافقون



قراءة إجمالية من خلال سبب النزول:

مع قيام دولة الإسلام في المدينة بدأ النفاق في الظهور، والذي تكمن خطورته في كونه خنجرًا يطعن المجتمع المسلم مِن الداخل، مِن أناس من جِلدة المسلمين ويتكلمون بألسنتهم، ولكنهم يُبطنون من عداوة الإسلام وأهله غيرَ ما يظهرون مِن موافقة المسلمين وموالاتهم.

وقد مثَّلت هذه الظاهرة مقصدًا هامًّا من مقاصد القرآن المدني؛ بدءًا مِن ذكر أفعال هذه الطائفة، وكشف سرائرهم التي لا يطلع عليها البشر، إلى بيان كيفية التعامل معهم، وذِكر جزائهم الذي تُوعِّدُوا به في الآخرة.

ولهذه السورة سببٌ نزول يتعلق بقولٍ صدر مِن أحدهم، بل مِن كبير مِن كبرائهم، وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، وقد امتلأ قولُه حقدًا وغلًّا على النبي ﷺ وصحابته الكرام، ثم لما بلغ خبرُ قولِه رسولَ الله ﷺ سارع إلى إنكار ما قال، فنزلت الآيات تجلِّي كذبَه ونفاقَه للنبي ﷺ والمؤمنين.

ورواية البخاري لسبب النزول فيها دلالة على أن السورة نزلت مِن أولها في هذا السبب في قول زيد بن أرقم رضي الله عنه : فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[المنافقون: ١] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[المنافقون: ٧] إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[المنافقون: ٨][1].

---

(١) سبق في الكلام على سبب نزول السورة. ص(١٧٢-١٧٤).
ورواية الترمذي في سبب النزول قد تحتمل أن تكون السورة قد نزلت جملة واحدة في قول زيد: (فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين)، وقد يكون تعبيرًا بالكل عن الجزء، والله تعالى أعلم.

فجاء الحدثُ الذي نزلت فيه الآيات في الآيتين السابعة والثامنة، وقُدِّم -بين يدي فضحِهم- ذكرُ بعض دسائس صدورهم وصفاتهم التي يعرفُهم بها النبي ﷺ والمؤمنون، وكأنه تمهيد بفضح بواطنهم وظواهرهم يقطعُ حجتَهم ويخرس ألسنتَهم قبل أن تأتي هذه المواجهة الصارمة في مقولهم الذي أنكروه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾[المنافقون: ٧]، ﴿يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إن قراءة السورة من خلال سبب النزول تجسِّد لقارئها حالَ هؤلاء المنافقين حال سماعهم هذه السورة، وهم يسمعون الآيات تفضحهم في أمرٍ تلو أمرٍ، حتى تصل بسامعها وتاليها إلى ذلك الحدث الذي كان سببًا في نزولها.

وكذلك تعرِّف المؤمنين بمقدمات هذه الأقاويل الباطلة التي صدرت عن المنافقين ودوافعها، فالأمر لا يقتصر على مقولة لكبيرهم وإن عَظُمت؛ بل لا بدَّ مِن الانتباه لما وراء ذلك والوقوف عليه؛ لمعرفة صفات المنافقين وعدم الانخداع بهم أولًا، وللحذر من التشبه بهم في صفاتهم ثانيًا، والذي جاء صريحًا في الآيات الثلاث الأخيرة في السورة والتي صُدِّرت بنداء أهل الإيمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[المنافقون: ٩].

من هدايات سورة المنافقون:

- **كذب المنافقين في دعواهم الإيمان:**

بدأت السورة بمشهد المنافقين وقد جاءوا بالكذب والخداع: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، وإن كان ما قالوه حقًّا في ذاته إلا أنهم كاذبون في الإقرار به، فصدَّقهم الله ﷻ في الخبر الذي قالوه بألسنتهم، وكذَّبهم في زعمهم الإقرار به:

= إلا أن رواية البخاري المذكورة فيها دليل على أن أول السورة نزل ضمن ما نزل في شأن مقولتي عبد الله ابن أبي ابن سلول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، وهو الذي بنيتُ عليه ما ذكرتُ في الكلام التالي، والله تعالى أعلم بمراده.



﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون: ١].

وهم وإن أقسموا على ذلك وعقدوا الأيمان المغلَّظة فهم كاذبون، وما أيمانهم إلا جُنَّة ووقاية اتخذوها حماية لأنفسهم من النبي ﷺ وأصحابه، فضلُّوا، بل كانوا سببًا في إضلال غيرهم وصدِّهم عن سبيل الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]، وما ذاك إلا أثرٌ من آثار الطبع على قلوبهم الذي تسبَّب فيه إظهارهم الإيمان ثم كفرهم في بواطنهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

- **أجسام المنافقين وفصاحتهم ينبغي ألا تخدع أحدًا:**

وإن كان المشهد الذي صُدِّرت به السورة ذُكر فيه بعضُ مقولهم؛ فذاك مشهدٌ آخر يتعلق بصورهم وهيئاتهم، فإنَّ صورَهم حسنة، ولهم حظٌّ من الفصاحة وحسنِ الحديث ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾ [المنافقون: ٤]، ولكنه مظهرٌ دون جوهر، ينبغي لأهل الإيمان ألا ينخدعوا به، لأنَّ مثلَهم -كما يقول الله تعالى-: ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ [المنافقون: ٤]، قُطعت مِن مغارسها وأُسندت إلى الجدر، فهي وإن أعجبت من رآها: لا نفعَ من ورائها، ولن تنتفع بسقي ولا غيره، ولا ثبات لها، ولا ثمرة مرجوة منها[1]، ثم هم -مع ذلك- أشد الناس جُبنًا وهلعًا ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[المنافقون: ٤]؛ ارتاعت قلوبهم، وسُلبوا الأمن بما كسبت أيديهم.

ثم يرشد اللهُ ﷻ نبيه ﷺ وأصحابه من بعده والأمة مِن بعدهم إلى الانتباه إلى عداوة مَن كانت هذه صفته، وأخذ الحذر والحيطة منهم، فيقول: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٢٤٠)، ونظم الدرر، البقاعي (٢٠/ ٨١).

- **استكبار المنافقين:**

ومن عجيب أمرهم أنهم بالرغم مِن كلامهم المعسول وألسنتهم الفصيحة يملأُ الكِبر قلوبَهم حتى عن استغفار رسول الله ﷺ لهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون: ٥]، فهم إذا أتاهم آتٍ يدعوهم للاعتذار إلى النبي ﷺ ليستغفر لهم؛ غلب عليهم كبرياؤُهم، ولوَّوا رؤوسهم إعراضًا وكبرًا!

وقد قضى الله ﷻ أنه لن ينفعهم هذا الاستغفار ولو كان من رسول الله ﷺ ما أصرُّوا على كفرهم وفسقهم.

- **صورة أخرى من كفرهم: الكيد للدين وحملة رسالته:**

ثم تنتقل الآيات بقارئها مِن وصف حال إعراضهم وكذبهم إلى مشهد آخر كان سببًا في نزول هذه الآيات، فتفضحهم في كيدهم للدين ولحملة رسالته، وتجلِّي كيف يسعى هؤلاء المنافقون لخلخلة صفوف المسلمين وزعزعة المجتمع المسلم وإثارة الزوابع فيه، وكذلك كيف يسعون لتجفيف منابع الهدى ومحاصرة المد الإسلامي وتضييق الخناق على النبي ﷺ وأصحابه[(١)].

فها هو كبيرهم يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون: ٧]، وكأن خزائن الدنيا بأيديهم! فيذكِّر اللهُ ﷻ عباده المؤمنين أن خزائن السماوات والأرض له ﷻ ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، فلا ينبغي لهم أن يتوكلوا إلا عليه ﷻ، كما أنَّ في الآية تذكيرًا للمنافقين ليعلموا بطلان كيدهم وفساد تدبيرهم.

وقد بلغ من حقدهم وغيظهم وكِبرهم أن يقول كبيرهم عبد الله بن أُبيٍّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، يحسب أنه الأعزُّ وأن النبي ﷺ

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٨/ ١٧٨).

وأصحابه الأخرى، فردَّ الله ﷻ قوله بأن بيَّن لَمن العزة، فهي له ﷻ ولكل مَن اتصل به، فالرسول ﷺ عزته مِن عزة الله ﷻ بعز النبوة والرسالة وإظهار دينه على الدين كله، والمؤمنون عزتهم بعزة الولاية ونصر الله إياهم، ومَن تعزَّز بالله ﷻ لم يلحقه ذل[1].

- **جملة من صفات المنافقين:**

فجمعت الآيات جملةً من صفات المنافقين لأمرين جليلين:

الأول: حتى يتفطَّن لها أهل الإيمان فلا يخدعهم أحد، **والثاني**: حتى يتجنبوا مشابهة هؤلاء المنافقين في شيء من صفاتهم أو أفعالهم.

فهم كاذبون كثيرو الأيمان بالباطل، قد يُعجَب الناظر إليهم بكلامهم وفصاحتهم، ولكنهم جبناء خبيثو الطوية، لا يكفُّون عن الكيد للإسلام وأهله، ولا ينالُ منهم أهلَ الإيمان إلا سوءُ القول وسلاطةُ اللسان.

- **توجيهات لأهل الإيمان:**

ثم تُختم السورة بخطاب للمؤمنين حتى يتجنَّبوا ما ورد مِن صفات المنافقين؛ فإن أعظم ما أورد هؤلاء المنافقين المهالكَ وأخطر ما طمس بصائرهم = هو إقبالهم بقلوبهم جميعها على الدنيا وزينتها وتعلقهم بها، فجاء التوجيه الإلهي لأهل الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

ولما كان التعلُّق بالدنيا مجلبة للبخل والشح عن الإنفاق في سبيل الله، وكان البخل من صفات هؤلاء المنافقين، كما جاء صريحًا في قوله ﷻ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧] =

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢٠/ ٩٠).

فقد أمر الله المؤمنين بالإنفاق في سبيله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾[المنافقون: ١٠]، فهو الذي رَزَقَ، وهو الذي يأمر بأن يُنفقوا مما رزق ﷻ.

ولعلَّ نسيان الإنسان للآخرة وغفلته عنها هو الذي يَغُلُّ يديه عن الإنفاق، فجاء التذكير بالآخرة، وحسرة الإنسان فيها، وأمنيته أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى ليتصدق هذه الصدقة التي دُعي إليها وهو على قيد الحياة، فربما تكاسل أو توانى أو بخل، ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ولكنها أمنية أنَّى لها أن تتحقق وقد قضى الله ﷻ أنه: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]؟!

فليبادر المؤمن إلى العمل في دار العمل، حتى لا يتحسَّر على ما فاته ويتندم، ولات حين مندم!







المبحث الثالث:

المناسبة في الجمع بين سورتي الجمعة والمنافقون

قد ثبت عن النبي ﷺ -كما سبق- أنه كان يصلي بسورتي الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، والناظر في السورتين بنوع تأمل يقف على ألوان من المناسبات بينهما، وكأنهما رسالة نصفها الأول يُلقى على مسامع المسلمين في الركعة الأولى بعد الفاتحة، ثم يركعون ويسجدون، ويقومون ليسمعوا النصف الآخر من هذه الرسالة الإلهية العظيمة.

- رسائل للمستمعين:

والمستمعون في صلاة الجمعة بين مؤمنٍ بقلبه عاملٍ ببدنه، ومنافقٍ يُبطن الكفر وإن كان موافقًا للمسلمين في أفعالهم، **فتأتي صلاة الجمعة بسورتي الجمعة والمنافقون لتوجه رسالة إلى كل من الفريقين:**

فسورة الجمعة توجِّه رسالة للمؤمنين، تبشِّرهم فيها، وتذكِّرهم بفضل الله عليهم، وتحرِّضهم على القيام برسالتهم التي اصطفاهم الله لها.

أما سورة المنافقون تنزل على قلوب المنافقين كالصاعقة، توبِّخهم وتفضحهم، وإن أرادوا خداع المسلمين ووقفوا بين صفوفهم في صلاة الجمعة أو في غيرها؛ فهذه الآيات تفضح بواطنهم آية بعد آية.

وقد روى ابن أبي شيبة عن الحكم الكندي، عن أناس من أهل المدينة، قال: أرى فيهم أبا جعفر، قال: كان يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة والمنافقون، فأما سورة الجمعة فيبشِّر بها المؤمنين ويحرِّضهم، وأما سورة المنافقين فيؤَيِّس بها المنافقين ويوبِّخهم بها[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٥٦) (١/ ٤٧٢)، ورجاله ثقات.



- **تحذير المؤمنين من أعدائهم:**

وفي السورتين تحذير للمؤمنين من أشد الناس عداوة لهم ولدينهم: اليهود والمنافقون:

ففي سورة الجمعة يسمع المؤمنون صفةَ اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين كما نص عليه القرآن: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، والتحذير منهم ومن أفعالهم.

ثم بعد سماعهم لهذا التحذير يسمعون في سورة المنافقون التحذير من العدو الداخلي، وهم المنافقون، الذين هم أشد خطرًا على المؤمنين من العدو الذي يظهر عداوته، بل كثيرًا ما يقع التحالف بين هذين العدوين الخارجي والداخلي ضد الإسلام وأهله.

- **فضح الادعاءات الكاذبة:**

ثم تأتي السورتان بفضح الادعاءات الكاذبة وإبطالها، لتجدِّد هذه الصفحة البيضاء كل جمعة، وتتركها خالية من الأكاذيب والادعاءات:

فسورة الجمعة تبطل ادعاء اليهود في كونهم أولياء الله سبحانه وتعالى من دون الناس، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

ثم تأتي سورة المنافقون لتبطل ادعاء المنافقين الإيمان، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون: ١].

- **التذكير بالموت:**

وفي السورتين تذكير بالموت الذي هو محطة انتقال الإنسان من مرحلة العمل إلى مرحلة الحساب، فيسمع في الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، ويسمع في المنافقون: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المنافقون: ١٠].



- **الحث على العمل الصالح:**

وفي السورتين حث للمؤمنين على العمل الصالح والسعي في مرضاة الله ﷻ.

ففي الجمعة أمر بالسعي إلى صلاة الجمعة، وفي سورة المنافقون دعوة إلى الذكر والإنفاق في سبيل الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [المنافقون: ٩ - ١٠].

- **التحذير من الإعراض والانفضاض عن ذكر الله:**

وقد جاءت مادة (انفضَّ) في السورتين مما يلفت انتباه القارئ لهما.

ففي سورة الجمعة ذُكر انفضاضُ من انفضَّ إلى التجارة واللهو والنبي ﷺ على منبره في الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، فذكر تعالى من أسباب هذا الانفضاض المذموم الانشغال باللهو والتجارة.

وفي سورة المنافقون ذُكر بعض مَن يسعى لهذا الانفضاض عن النبي ﷺ ودينه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[المنافقون: ٧]، فلا يليق بالمؤمن أن يقع في هذا الفعل، ولا أن يستجيب لكيد من يكيد له من المنافقين.

هذه بعض الإشارات في المناسبة بين السورتين، والتي تُشعر بأن السورتين نسيج متصل يكمل بعضه بعضًا، ولعلها تُجلي طرفًا من الحكمة النبوية في الجمع بين السورتين في صلاة جامعة كصلاة الجمعة، والله ورسوله أعلم بالمراد.



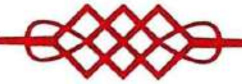
الفصل السابع

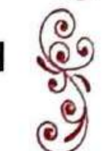


سورة الأعلى

المبحث الأول: التعريف بسورة الأعلى.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة الأعلى.






المبحث الأول:

التعريف بسورة الأعلى

١) تسمية السورة:

○ سورة الأعلى:

وقد سُمِّيت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير.

ووجه التسمية: افتتاحها بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١].

○ سورة سبح اسم ربك الأعلى:

وهي التسمية الواردة في السنة في أحاديث كثيرة، منها: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه لأصحابه العشاء، فطوّل عليهم فانصرف رجل منا، فصلى فأخبر معاذ عنه فقال: إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي ﷺ: «**أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّانًا يَا مُعَاذُ؟ إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**»[1].

وأورد هذه التسمية ابن جرير الطبري في تفسيره[2]، والبخاري في صحيحه[3]، وغيرهما،

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٦) كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا، ومسلم (٤٦٥) كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء، واللفظ لمسلم.

(٢) جامع البيان (١٢/ ٥٤٢)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٣) الجامع الصحيح (٦/ ٣٩٣).

والبخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حبر الإسلام، وُلد في بخارى سنة ١٩٤هـ، ونشأ يتيمًا، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وكتابه «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري هو أوثق كتب الحديث، وله مصنفات أخرى، منها: «الأدب المفرد»، و«التاريخ»، و«الضعفاء»، وتوفي سنة ٢٥٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧).



وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها.

○ سورة سبِّح:

وقد وردت في تسمية بعض الصحابة، كما في قول ابن عباس: (نزلت سورة سبح بمكة)[1].

وذكره البقاعي[2]، وابن كثير[3]، وغيرهما من المفسرين.

ووجه التسمية: اختصاصها بالافتتاح بكلمة سبح بصيغة الأمر.

٢) فضائل السورة:

○ ورد في فضل هذه السورة حديث تشترك فيه مع ذوات آلر وحم وسائر المسبِّحات والزلزلة:

في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه قول النبي ﷺ للرجل: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ**»، وقد سبق بتمامه[4].

○ وورد في فضلها حديث تشترك فيه مع سائر المسبِّحات:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبِّحات قبل أن يرقد، ويقول: «**فِيهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ**»، وقد سبق[5].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٨/ ٤٧٩)، وعزاه لابن الضريس والنحاس وابن مردويه.

(٢) نظم الدرر (٢١/ ٣٨٧).

والبقاعي: هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، الدمشقي، الشافعي، نزيل مصر. وُلد بوادي البقاع بلبنان سنة ٨٠٩هـ ومن مشايخه: ابن حجر العسقلاني، وابن الجَزَري، ومن أشهر مصنفاته: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»، و«مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور». توفي سنة ٨٨٥هـ.

انظر: بدائع الزهور (٣/ ١٦٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٧٧)، وسبق ترجمة المؤلف.

(٤) انظر ص(١٥٣) من هذا البحث.

(٥) انظر ص(١٥٤) من هذا البحث.



o وورد أيضًا قراءة النبي ﷺ لهذه السورة في صلاة الظهر:

عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[(١)].

o وورد أيضًا حب النبي ﷺ لهذه السورة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[(٢)].

o وورد أيضًا فيما وُصِّي به معاذ رضي الله عنه في قراءته إمامًا بالناس:

في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه: «**إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**»، وقد سبق[(٣)].

o بالإضافة إلى ما ورد في قراءته ﷺ لها مع سورة الغاشية في الجمعة والعيدين:

فيما رواه مسلم عن النعمان بن بشير، وأبو داود عن سمرة بن جندب[(٤)].

٣) عدد آيات السورة:

تسع عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٤٦٠) كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، وتمامه: (وفي الصبح بأطول من ذلك).
وقد يكون علم البراء بذلك بإخبار منه ﷺ، أو بجهر النبي ﷺ ببعض آية كما في حديث عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه: (أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب، وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب، ويُسمِعُنا الآية..). رواه البخاري (٧٧٦) كتاب الأذان، باب يقرأ في الأخريين بفاتحة الكتاب.

(٢) رواه أحمد (٧٤٢)، وقد تفرد به، وهو ضعيف لضعف ثوير بن أبي فاختة، وضعفه محققو المسند (٢/ ١٤٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٥٤٢).

(٣) انظر ص(١٨٧) من هذا البحث.

(٤) سبق ذكر الحديثين وتخريجهما، في السور التي خُصَّ بها يوم الجمعة ص(٤٣).

(٥) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٧١).



٤) زمن النزول:

سورة الأعلى مكية عند الجمهور.

قال ابن عطية رحمه الله: (وهي مكية في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أنها مدنية، وذلك ضعيف، وإنما دعا إليه قولُ من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها)[1].

وقال السيوطي: (الجمهور على أنها مكية. قال ابن الفرس: وقيل: إنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

قلت: ويردُّه ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يُقرِآننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فما جاء حتى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سور مثلها[2])[3].

فالذي يتلخَّص من ذلك: أن السورة مكية كلها، والقول بمدنيتها ضعيف، وهو راجع إلى شبهة قياسية لا إلى دليل نقلي، والله أعلم.

٥) محور السورة:

تَبْرُزُ قضايا العقيدة الثلاث الكبرى في سورة الأعلى: التوحيد والنبوة والبعث، وتكشف عن **سموِّ هذه العقائد وعلوِّها** المناسب لاسم السورة.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥/ ٤٦٨).
والمقصود بذكر العيد فيها: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[الأعلى: ١٤ -١٥]، على تأويل ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بزكاة الفطر، و﴿فَصَلَّىٰ﴾ بصلاة العيد، ولم يكن بمكة زكاة فطر ولا صلاة عيد.
وللآثار الواردة في هذا التأويل انظر: الدر المنثور، السيوطي (٨/ ٤٨٤-٤٨٧).
(٢) رواه البخاري (٤٩٤١) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].
قال ابن حجر في شرح الحديث: (ومقتضاه أن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ مكية). [فتح الباري (٧/ ٢٦٢)].
(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٣٤-٣٥).



وبالنظر في مقاطع السورة وسياقاتها، واستئناسًا بما ذكره المعتنون ببحث مقاصد السـور؛ يمكن الخلوص إلى مقـصد السورة، وهو: **تنزيه الله الأعلى، وبيان علوِّ كل ما يرجع إليه سبحانه**، وسيتجلَّى ذلك -بإذن الله تعالى- في القراءة الموضوعية للسورة.





المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة الأعلى

قراءة إجمالية لسورة الأعلى:

يأتي في صدر السورة **الأمرُ بتسبيح الله ﷻ الأعلى وتنزيهه** عن كل عيب ونقص، متبوعًا بذكر بعض أفعاله الدالَّة على علوه ﷻ وعظمته ومجده.

ثم يأتي **الوعد للنبي ﷺ أن الله ﷻ سيُقرؤه القرآن فلا ينساه**، وأنه سييسِّره لليسرى ويرزقه شريعة سمحة يسيرة، فدلَّ على علوِّ النبي ﷺ وعلو رسالته لعلوِّ مرسِله ﷻ.

ومن لازم علوِّ هذه الرسالة أن يُرفَع مَن أقبل عليها وانتفع بها، وأن يُذَمَّ ويُتوعَّد من أعرض عنها، **فجاء ذكرُ أحوال الناس مع هذه الذكرى**، وبيان ميزان العلوِّ الحقيقي بين الناس: علوِّ المنتفع المتذكر، ووضاعة المُعرِض المكذِّب.

ثم يأتي **تقرير البعث** في سياق بيان علَّة إعراض مَن أعرض، وأن ذلك إنما هو لإيثارهم الحياة الدنيا على الآخرة، متصلًا **بتقرير علوِّ الآخرة وشرفها على الدنيا**.

فتقرَّر: علوُّ الله ﷻ وعلوُّ عقيدة التوحيد، وعلوُّ النبوَّة والنبيِّ والرسالة وهي القرآن، وعلوُّ مَن تذكَّر وانتفع بهذه الرسالة، وعلوُّ الآخرة على الدنيا وعلوُّ العقيدة في اليوم الآخر، وكلُّ علوٍّ إنما هو فرعٌ عن علوِّ الله الأعلى ﷻ، ومِن متعلَّقاته.

ثم خُتم كل ذلك ببيان أصالة هذه الرسالة وأنها مما أنزله الله ﷻ على رسله في الصحف الأولى.

من هدايات سورة الأعلى:

● تسبيح الله ﷻ:

بدأت السورة بالأمر بتسبيح الله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١]، هذا التسبيح الذي يفتح القلوب على عظمة الرب وتنزيهه ﷻ عن كل عيب ونقص، ويعلِّقُه بالربِّ الأعلى في ذاته وأسمائه وصفاته.

ثم تخرج الآيات بالإنسان من حدوده الضيقة ليَسْبَحَ في ملكوت القدرة المطلقة وينظر في مظاهر القدرة والعلوِّ في الكون مِن حوله(١): ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٥].

واللهُ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلى: ٢-٣] لا يتركُ خلقَه هملًا؛ بل كما خلقهم وسوّاهم، وكما هداهم إلى ما فيه صلاح معاشهم واستمرار حياتهم = فإنه يُرسل إليهم رسلَه برسالاته هداية لهم لما فيه صلاح معاشهم وآخرتهم، وهذا من مقتضى حكمته ﷻ.

وبعد أن حلَّق السامعُ بقلبه في مظاهر الكون التي يتجلَّى فيها خلقُ الله ﷻ وتقديره تأخذه الآياتُ إلى الأرض التي يلامسها بقدميه، فيُسبِّح ربَّه الذي ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤-٥]، لينتبه إلى آية من آيات الله ﷻ هي مِن أدلِّ الآيات على البعث(٢)، فإن الذي أخرج المرعى من الأرض قادرٌ على أن يبعث العباد بعد موتهم مرة أخرى.

وكذلك فإن الله ﷻ يحيي القلوب بما أنزله من الوحي على نبيه ﷺ كما يُخرج هذا المرعى من الأرض متى نزل المطر النافع على الأرض(٣).

ثم في الآية إشارةٌ إلى ذبول الحياة في ذبول النبات الذي يراه الإنسان، وربما لا يتعظ

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٩/ ١١٠).

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ٣٩٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٧٨).



بما يراه، فجاءت الآية منبِّهةً إلى أن كلَّ نبات إلى حصادٍ وكلَّ حيٍّ من الخَلْق إلى نهاية[1].

- **تثبيت النبي ﷺ على تلقِّي الوحي:**

وبعد أن امتنَّ الله ﷻ على الخلق بالهداية العامة امتن على نبيه ﷺ خصوصًا[2] وعلى أمَّته مِن بعده، فوعده أن يُقرئَه القرآنَ فلا ينساه، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[الأعلى: ٦ -٧].

فتكفَّل اللهُ ﷻ له دفعَ النسيان، وقد نزل هذا الوعدُ في أول بعثته ﷺ[3]، فطمأن الله ﷻ قلبَ نبيِّه ﷺ بنعمته عليه، واستثنى اللهُ ﷻ ما شاء لنبيِّه أن ينساه مما يشاءُ اللهُ أن يُنسَخ ويُرفَع، أو مما يَعْرِض للنبي ﷺ مِن عوارض البشرية من النسيان بعد قيامه بالإبلاغ، والذي لا يؤثِّر على إبلاغ رسالة الله ﷻ للناس.

وإذا كانت هذه البشرى للنبي ﷺ تطمئن قلبه؛ فهي كذلك **بشرى لأمته تطمئنها إلى أصل هذه العقيدة**[4]، وأنها محفوظةٌ من الله ﷻ، تكفَّل الله ﷻ بذلك.

ثم تأتي **البشرى الثانية** في قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾[الأعلى: ٨]، فهذا وعدٌ بشريعة سهلة سمحة، ووعدٌ بتوفيق الله ﷻ للنبي ﷺ وتهيئته لتلقي هذه الرسالة[5]، وهي بشرى لأمته من بعده -أيضًا- بشريعةٍ حنيفيةٍ سمحةٍ، ودينِ يُسرٍ لا عسرَ فيه.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٨٨٨).
(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٩/ ١١٢).
(٣) ذكر بعض أهل العلم أنها الثامنة في ترتيب النزول. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٧٢).
(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٨٨٩).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٨٢).



● الحياة الطيبة للإنسان[1]:

ويتجلَّى في صدر هذه السورة الكريمة تقريرُ أمورٍ ثلاثةٍ يحتاج إليها كلُّ إنسانٍ لينعمَ بالحياة الطيِّبة في الدنيا والآخرة؛ فكلُّ إنسان يحتاج إلى كبيرٍ ينتمي إليه ليكون به علوُّه ورفعته، وإلى مقتدًى يقتدِي به ويربط به نفسه عند الملمَّات، وإلى طريقةٍ مُثلى يسير عليها وتكون له منهاجًا.

فجاءت الآيات نبراسًا لبني آدم في الأمور الثلاثة؛ فالكبير الذي ينتمي إليه الإنسان هو إلهُه الربُّ الأعلى ﷻ الذي يرجعُ إلى علوِّه كلُّ علوٍّ في الدنيا والآخرة، والمقتدَى الذي يقتدي به هو رسولُه محمد ﷺ الذي أقرأه الله ﷻ القرآن وتعهَّد له بحفظه، والطريقة المثلى هي هذه الشريعة الحنيفية السمحة التي ارتضاها الله ﷻ لعباده.

والإقرار بهذه الثلاثة هو الوارد في دعاء النبي ﷺ: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا»[2].

● تكليف النبي ﷺ بالتذكير، وأحوال الناس مع الذكرى:

وبعد هذا الامتنان يأتي التكليفُ بالتذكير، ولا شكَّ أن النعمَ تستوجبُ الشكرَ، وأعظمُ مظاهر شكر هذه النعم هو القيام بمهمة التبليغ والتذكير، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الأعلى: ٩][3].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) رواه مسلم (٣٨٦)، من حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

(٣) في دلالة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الأعلى: ٩]:

قال ابن عطية: (واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، فقال الفراء والزهراوي معناه: وإن لم تنفع، فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني. =

ثم ذكر الله ﷻ أحوالَ الناس مع هذه الذكرى، قال تعـالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١٠ -١١].

فالصنف الأول من النَّاس هو مَن ينتفع بهذه الذكرى، وهو مَن يخشى ربَّه ﷻ، فالخشية سببٌ في الانتفاع بالذكرى، وعـدم الانتفاع بالذكرى أمارةٌ على ضعـف الخشية في قلب الإنسان.

أما الصنف الثاني فهو الذي يتجنَّب الذكرى ويتحـاشاها مُعرِضًا عنها، فهذا حظُّـه الشقاءُ في الدنيا والآخرة، وأخبر الله ﷻ عن مصير هذا المُعرِض في الآخرة، فقـال: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢ -١٣].

● **مدارج الفلاح:**

ولَّما قدَّمت الآياتُ ذكرَ حـال المعرضين عن الذكرى، وبقي السـامعُ ينتظرُ أن يعلم جزاء مَن يخشى ويتذكَّر؛ جاء الوعدُ له بالفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الأعلى: ١٤]، والفلاحُ جـامعٌ لكل أنواع الخير في الدنيا والآخرة.

ورتَّبت الآياتُ الفلاحَ على خصالٍ ثلاثٍ على ترتيب تولُّدها لدى الإنسـان[١]؛ قـال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ -١٥].

فأصل هذه الخصال: تزكية النفس، وتطهير القلوب؛ لتصلح محلًّا للهدى والتعرُّف على ربِّها ﷻ.

= وقال بعض الحذاق: إنما قوله ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين على جهة التوبيخ لقريش، أي ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ في هؤلاء الطغاة العتاة، وهذا نحو قول الشاعر:

لقـد أسـمعت لـو ناديـت حيًّـا ... ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي

وهذا كله كما تقول لرجل: قل لفلان وأعد له إن سمعك، إنما هو توبيخ للمشار إليه). [المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٠)].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ٢٨٧-٢٨٨).

ثم إذا تطهَّر القلب تأهَّل لتلقي معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وذكر اسم الرب ﷻ.

ثم إذا تلقَّى القلبُ هذه المعارف أقبل على طاعة الله وعبادته، وعُبِّر عن الأعمال برأسها وعمودها، وهو الصلاة.

فكانت هاتان الآيتان نبراسًا لمن أراد سلوك طريق الفلاح، يرقى خلالهما إلى الفلاح والفوز.

- **تفضيل الآخرة على الدنيا:**

ثم ذكر الله ﷻ سببَ إعراض مَن أعرض عن الذكرى، وتولِّيه عن الهدى، وهو إيثار الحياة الدنيا على الآخرة، والتكذيب بالآخرة أو الغفلة عنها، فقال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ -١٧]، فكيف تُفضَّل الحياة الفانية على الآخرة الباقية؟!

وكأنَّ هاتين الآيتين تكشفان الغشاوة عن عيني الإنسان، تلك الغشاوة التي تحجب عنه الانتفاع بالذكرى، وتحجز قلبه عن الانتفاع بالهدى، والآيتان وإن كانتا في الكفار ممن أعرض عن دعوة النبي ﷺ ابتداءً؛ إلا أن فيهما رسالةً لأمة محمد ﷺ ألَّا يشابهوا هؤلاء في هذه الخصلة التي كانت سببًا في مآلهم الذي أخبر الله ﷻ عنه في الآيات السابقة.

- **أصالة هذه الرسالة:**

ثم تُختَم السورة ببيان أصالة هذه الرسالة؛ فهذه الآيات قد أنزل الله ﷻ أمثالها في الصحف الأولى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ -١٩]، فهذه رسالات الله ﷻ للأمم السابقة، بها صلاح حال الناس أولهم وآخرهم، وهي الحقيقة الخالدة التي لا تتغير مع تغير الأزمان والأحوال.

والمتلقِّي لهذه الرسالة هو حلقةٌ في سلسلة بعيدة الجذور، حلقاتُها أهلُ الإيمان من الأمم السابقة الذين بلغتهم نفس الرسالات، فآمنوا وامتثلوا وترقَّوا في مدارج الفلاح التي أرشد الله ﷻ إليها في كتبه، وآخر هذه الكتب: القرآنُ الكريم الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، وأمره أن يذكِّر به.

الفصل الثامن



سورة الغاشية

المبحث الأول: التعريف بسورة الغاشية.

المبحث الثاني: قراءة موضوعية لسورة الغاشية.

المبحث الثالث: المناسبة في الجمع بين سورتي الأعلى والغاشية.

المبحث الرابع: المشابهة بين سورتي الجمعة والأعلى.





المبحث الأول:

التعريف بسورة الغاشية

١) تسمية السورة:

○ سورة الغاشية:

وقد سُمِّيت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير، ووردت هذه التسمية عن الصحابة، ومن ذلك قول ابن عباس: (نزلت سورة الغاشية بمكة)(١).

ووجه التسمية: ورود لفظ الغاشية في أولى آياتها: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وإن كانت لا تختص به؛ فقد ورد لفظ الغاشية في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٧].

○ سورة هل أتاك حديث الغاشية:

ووردت هذه التسمية في كلام الصحابة، ومن ذلك: حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾.. الحديث(٢).

وعنون لها به الثعالبي في تفسيره(٣)، والبخاري في صحيحه(٤)، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها.

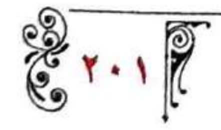
---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٨/ ٤٩٠)، وعزاه لابن مردويه والنحاس وابن الضريس.

(٢) رواه مسلم (٨٧٧) كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في صلاة الجمعة، وقد سبق في: السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤٣).

(٣) الجواهر الحسان (٤/ ٤٠٨).

(٤) الجامع الصحيح (٦/ ٣٩٤).



٢) فضائل السورة:

- ورد في فضلها ما جاء في قراءته ﷺ لها مع سورة الأعلى في الجمعة والعيدين:

فيما رواه مسلم عن النعمان بن بشير، وأبو داود عن سمرة بن جندب[١].

- وكذلك ما ورد في قراءتها مع سورة الجمعة في صلاة الجمعة:

فيما رواه مسلم عن النعمان بن بشير[٢].

٣) عدد آيات السورة:

ست وعشرون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف[٣].

٤) زمن النزول:

سورة الغاشبة مكية بالاتفاق[٤].

٥) محور السورة:

يتجلَّى **الحديث عن اليوم الآخر** كمحور أساس في سورة الغاشية، من وصف أحوال السعداء والأشقياء في الآخرة، مستغرقًا أكثر من نصف آيات السورة، ثم استعراض بعض دلائل الخلق على قدرة الله ﷻ على بعث الناس بعد موتهم.

ويظهر من موضوعات السورة وسياقاتها أن مقصد السورة الرئيس: **التذكير باليوم الآخر وأحوال السعداء والأشقياء فيه**، وما يلحق ذلك من إقامة الحجج على قيامه، وتقرير وظيفة النبي ﷺ بالتذكير به وبما أنزله الله ﷻ عليه.

---

(١) سبق ذكر الحديثين وتخريجهما، في السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤٣).
(٢) سبق ذكر الحديث وتخريجه، في السور التي خُص بها يوم الجمعة ص(٤٢).
(٣) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٢٧٢).
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٤٧٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ٢٥).
ولم يذكرها السيوطي في «الإتقان» في السور المختلف فيها. [انظر: «الإتقان في علوم القرآن» - فصل في تحرير السور المختلف فيها (١/ ٣٠، وما بعدها)].



المبحث الثاني:

قراءة موضوعية لسورة الغاشية

قراءة إجمالية لسورة الغاشية:

- قراءة عامة للسورة:

تبدأ السورة بالحديث عن اليوم الآخر والذي هو محور موضوعات السورة، ثم ذِكر أحوال الناس يوم القيامة في مقابلةٍ تُجلِّي عظيمَ الوعيد الذي توعَّد اللهُ ﷻ به المكذِّبين، وعظيمَ الوعدِ الذي وَعَد به المصدِّقين.

وتستغرق هذه المقابلةُ أكثرَ مِن نصف آيات السورة، ليَعقُبَها ذكرُ بعض آيات الله ﷻ خلقه إقامةً للحُجَّة على كمال القدرة الإلهية بما يراه بنو آدم أمامهم في هذه الدنيا، والدالة على أن الذي خلقها قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم إلى موقف الحساب.

ثم يأتي تذكيرُ النبي ﷺ بوظيفته، وهي التذكير والإبلاغ، وإعلامُه أنه ليس عليه هدايةُ قلوب الخلق؛ فهذا قد استأثر الله ﷻ به، الذي يَرجعون إليه، فيُحاسبهم على ما بدر منهم.

من هدايات سورة الغاشية:

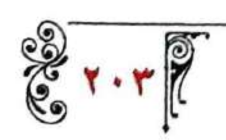
- حديث الغاشية:

تبدأ السورة باستفهام موجَّه للنبي ﷺ وللسامعين للقرآن بالتبع: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] يشوِّقهم إلى معرفة هذا الخبر العظيم؛ لما يترتب عليه من الموعظة.

يلفتُ هذا الاستفهامُ الانتباهَ لهذا النبأ العظيم والأمر الهائل، وهو يوم القيامة الذي عُبِّر عنه بـ«الغاشية»، فهي تغشى الناس بأهوالها وشدائدها العظمى، فلا يجد أحدٌ من أهوالها مفرًّا[1].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢٢/ ٢)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٩٤).



ثم استعرضت السورة أحوال الفريقين: الأشقياء والسعداء يوم القيامة، وبيَّنت مصيرهما، وطرفًا من عذاب الفريق الأول، ومن نعيم الفريق الثاني.

وجاء التعبير عن ذلك بالإخبار عن أحوال وجوههم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]، فحال الوجه يُنبئ عن حال صاحبه؛ إذ هو عنوان ما يجده صاحبه مِن نعيم أو شقوة[(١)].

- **أحوال المكذِّبين يوم القيامة:**

أما الفريق الأول فهم المكذِّبون المُعرِضون عن هُدى الله ﷻ، فأخبر الله ﷻ عنهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢ - ٣]، فهم أذلاءُ أهلُ نَصَب وتعب في نار جهنَّم[(٢)]، وكأن في هذه الكلمات تذكيرًا لهم بأحوالهم في الدنيا؛ فلمَّا تركوا الخشوع لله في الدنيا، والعملَ بما أمر الله به، والنصبَ في القيام بطاعته؛ كان جزاؤهم خشوعَ مذلةٍ، وعملَ مشقةٍ ونصبَ إرهاقٍ، والعياذ بالله[(٣)].

ثم أخبر الله عن مصير هذه الوجوه؛ فأخبر عن مستقرِّها وشرابِها وطعامِها، فقال: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٤ -٧]، وهي مِن صور عذابهم التي تعدَّد ذكرُها وذكرُ غيرها في القرآن ترهيبًا وتخويفًا.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٩٥).

(٢) حمل بعض المفسرين الآية على أنها في أمثال الرهبان الذين يتعبون وينصبون في الدنيا، ثم يُعذَّبون في الآخرة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية سبعة وجوه في ترجيح تعلُّق هذه الأوصاف بالآخرة، أي أنها يوم القيامة تخشع وتنصب. [مجموع الفتاوى (١٦/ ٢١٧-٢٢٠)].

قلتُ: والأقوال الواردة عن بعض السلف في تفسيرها على أنها في الدنيا يمكن توجيهها على أنها من باب التفسير بالمثال، أو التفسير القياسي.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٩٦).

- **أحوال المؤمنين يوم القيامة:**

وفي مقابل ذلك ذكر الله ﷻ أحوالَ وجوه أهل الإيمان في الآخرة، وبعض ما أعدَّه لهم في الجنة، فقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[الغاشية: ٨-٩]، فبعد أن كان سعيُها في الدنيا -والذي هو للآخرة- فيه مشقةٌ وكلفةٌ فصبروا عليه ابتغاء مرضات الله ﷻ؛ فإنهم يوم القيامة يحمدون هذا السعي ويرضونه فرحينَ به[1]، وهذا من أعظم النعيم المعنوي، والذي أعقبه في الآيات ذكرُ طرف من النعيم الحسي في الجنة.

فَهُمْ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٠-١٦]، وفي الجنَّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وتلك بعضُ صور هذا النعيم التي تشوِّقُ قلوبَ أهل الإيمان وترفعُ هممهم وتثبِّتهم على طريق الحق وابتغاء رضوان الله ﷻ.

- **المقابلة بين حال الفريقين:**

وفي الآيات مقابلةٌ جليَّةٌ بين الحالين؛ ليتمكَّنَ العاقلُ من المقابلة بينهما؛ فأولُها **مقابلةُ أحوال الوجوه**، فالمكذِّبون وجوههم ﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢-٣]، أما المصدِّقون فوجوههم ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-٩].

وعن مصير كلٍّ من الفريقين ومآله؛ فالأول: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]، والثاني: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠].

ثم المقابلة بين شراب كلٍّ منهما، فالأول: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، والثاني: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢].

ثم المقابلة بين شقاء أهل النار الذي أفاده ما ذُكر من صفة طعامهم، **وسعادة أهل الجنة**

---

[1] انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢٢/ ٩)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٩٩).

بوصف سُررهم ومقاعدهم المُشعرة بترف العيش في الجنة[1].

- **من آيات القدرة في الكون:**

وبعد أن ذُكر مصير كلٍّ من المكذِّبين والمصدِّقين، والذي استغرق أكثر من نصف آيات السورة؛ جاءت آيات القدرة الدالَّة على عظمة الخالق ﷻ، وقدرته على البعث والنشور، مِن خلال آيات يراها الإنسان أمام عينيه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ -٢٠]، فهذه أربعُ آياتٍ يراها الإنسان أمام عينيه، وتدرَّجت الآيات في دعوته إلى النظر[2].

فابتدأت الآياتُ بلفت أنظار المخاطَبين إلى التفكُّر في الإبل المجاورة لهم والتأمل في بديع خلق الله ﷻ لها، ثم ارتقت بأنظارهم إلى السماء والتفكر في رفعها بغير عمد يرونها، ثم عادت إلى الجبال الشامخة والنظر في كيفية نصبها في الأرض لئلا تميد، ثم إلى الأرض التي يسير عليها الإنسان وقد بسطها الله ﷻ وفرشها له.

- **وظيفة النبي ﷺ:**

وإن كانت هذه الآيات التي يراها الناس كفيلةً بإقامة الحُجة عليهم -بما يرونه ويلابسونه ليلَ نهار- على قدرة الله ﷻ، وإن كان اللهُ ﷻ أرسل رسوله ﷺ برسالة يتوافق لازمُها مع ما يرون حولهم في هذا الكون = فهذا أمرٌ للنبي ﷺ بالتذكير ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الغاشية: ٢١]، وبيانٌ لوظيفته وأنه ليس بمسلَّط على قلوب الناس: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١ -٢٢].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٣٠٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٣٠٤-٣٠٥)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٩/ ١٢١).

وفي هذا تثبيت لقلب النبي ﷺ متى عَلِم أنه لا تبعة عليه مِن عدم إصغائهم واستجابتهم له وهو الحريص ﷺ على إسلام الناس وإيمانهم بربِّهم ﷻ، وكذلك يَدفع عنه ﷺ اليأسَ الذي قد يتسربُ إلى القلب بسبب إصرار الكافرين على تكذيبهم وإعراضهم[1].

ومضمون هذه الرسالة قد تكرَّر توجيهُه للنبيِّ الكريم ﷺ، وهذا التكرار دالٌّ على إلحاح الرغبة البشرية عنده ﷺ في انتصار دعوة الحق وتذوُّق الناس لما فيها من الخير والرحمة، وإلا فهو مَنْ هو تأدُّبًا بأدب الله ﷻ ومعرفةً لحدوده واستجابةً لأوامره[2]، فهذه رحمةُ النبي ﷺ بالخلق، ومحبتُه لهدايتهم.

- **مآل الناس إلى ربهم فيحاسبهم على أعمالهم:**

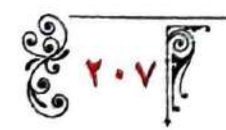
وإن كان النبيُّ ﷺ مبلغًا عن ربِّه ﷻ، وظيفته التبليغ والتذكير؛ فهذا لا يسوِّغ لمن أقيمت عليه حُجج الله ﷻ أن يُعرِضَ عن الهدُى، وأن يَكفر هذه الآيات التي تحفُّ به، سواء منها المرئي المشاهد أو المسموع المتلوّ، فأخبر الله ﷻ عن مصير هؤلاء الذين تولَّوا: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾[الغاشية: ٢٣ -٢٤].

ثم تُختَمُ السورة بتعليل لماذا خُوطِب النبيُّ ﷺ بـ: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢]؛ فإن رجوعهم إلى الله ﷻ، وهو -سبحانه- الذي سيُحاسبهم على أعمالهم صغيرها وكبيرها: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥ -٢٦]، وهو العليم الذي أقام عليهم الحجج وأحصى عليهم أعمالهم سبحانه وتعالى.



(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٣٠٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٩٠٠).



المبحث الثالث:

المناسبة في الجمع بين سورتي الأعلى والغاشية

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرن بين سورتي الأعلى والغاشية في صلاة الجمعة وفي صلاة العيد كما سبق، والسورتان متعاقبتان في ترتيب المصحف الشريف.

ومن خلال تدبر أغراض السورتين يمكن استخلاص بعض أوجه المناسبة بينهما:

- **الإخبار عن الآخرة:**

في الركعة الأولى ومع قراءة سورة الأعلى يُذكّر السامعون بأنَّ الآخرة هي الباقية، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ -١٧]، ثم في الركعة الثانية ومع قراءة سورة الغاشية يسمعون تفصيل بعض أحوال الآخرة من خلال ذكر أحوال أهل الكفار وأهل الإيمان فيها، في آيات استغرقت أكثر من نصف السورة الأول.

- **أحوال الناس يوم القيامة:**

وأُجمل مآل الفريقين يوم القيامة في الركعة الأولى في سورة الأعلى، في قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١١ -١٥]، ثم فُصِّل في الركعة الثانية بذكر عددٍ من تفاصيل هذين المآلين في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢] وما بعدها، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] وما بعدها.

- **وظيفة النبي ﷺ:**

ومن أكثر ما يلفت انتباه السامعِ التأكيدُ على وظيفة النبي ﷺ في السورتين وتكراره، وأنها التذكير بما أوحاه الله ﷻ إليه، وأنه ما عليه إلا بلاغ رسالة الله تبارك وتعالى، فقال الله

في سورة الأعلى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، وقال في سورة الغاشـية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١].

- **القدرة الإلهية:**

وفي السورتين دعوة إلى التفكُّر في مظاهر القدرة الإلهيـة في الكـون، والدالـة عـلى أن الله ﷻ وحده هو المنفرد بالألوهية، وأنه على كل شيء قدير، بـما في ذلـك إحيـاء النـاس مـن قبورهم بعد الموت.

فجاء التوجيه لذلك في الركعة الأولى في سورة الأعلى تعريضًا من خلال ذكر بعض أفعال الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[الأعلى: ٢ -٥].

بينما جاء في الركعة الثانية تصريحًا في سورة الغاشية في قوله تعـالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ -٢٠].






المبحث الرابع:

المشابهة بين سورتي الجمعة والأعلى

قد سبق ذكر أن النبي ﷺ كان يَقْرِن بين الأعلى والغاشية في صلاة الجمعة، ويَقْرن أحيانًا بين الجمعة والغاشية.

وهذا يستدعي نظرًا في سورتي الأعلى والجمعة، ومحاولة استنباط أوجه المشابهة بين السورتين، بما يناسب أن تحلَّ إحداهما محلَّ الأخرى -إجمالًا- في مثل هذا الموطن.

وفضلًا عما في كلا السورتين من هدايات تفصيلية ممَّا ذُكر في موضعه من هذا البحث؛ فإنه مع تدبُّر السورتين والموازنة بين أغراضهما نجد عدة أغراض متشابهة رغم أن سورة الأعلى مكية وسورة الجمعة مدنية، ورغم اختلاف مقصد السورة في كلٍّ منهما عن الأخرى.

وهذا بعض ما ظهر من صور التشابه بين السورتين:

- **الافتتاح بالتسبيح:**

كلا السورتين تُستفتح بتسبيح الله ﷻ، في سورة الجمعة بالخبر: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الجمعة: ١]، وفي سورة الأعلى بالأمر: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

- **المِنّة بنزول الوحي وبعثة النبي ﷺ:**

وفي كلٍّ من السورتين إشارة إلى مِنَّة الله ﷻ على عباده ببعثة النبي ﷺ وإنزال الوحي:

ففي سورة الأعلى امتنان على النبي ﷺ وفيه امتنان على أمته في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٦ -٨].

وفي سورة الجمعة امتنانٌ على الأمة ببعثة النبي ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة: ٢].



- **الإعراض عن الذكرى:**

وفي كلا السورتين تحذير من الإعراض عن الذكرى:

في سورة الأعلى بوصف المعرض بالشقاء، وذكر مصيره في الآخرة، في قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[الأعلى: ١١ - ١٣]، وفي سورة الجمعة بضرب مَثَلٍ لمن حُمِّل الذكرى فأعرض عن العمل بها، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة: ٥].

- **التذكير بالموت:**

وفي كلا السورتين تذكيرٌ للإنسان بالموت:

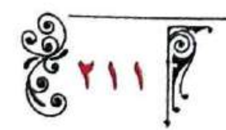
إشارةً في سورة الأعلى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤ -٥]، وتصريحًا في سورة الجمعة في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

- **حقارة الدنيا، وشرف الآخرة:**

وفي كلا السورتين تأكيد على حقارة الدنيا في مقابل الآخرة:

ففي سورة الأعلى قال تعالى مخاطبًا من تجنَّب الذكرى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[الأعلى: ١٦ -١٧]، وفي سورة الجمعة قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وبذلك تبيَّنت بعض أوجه المشابهة بين السورتين رغم تباعد زمان النزول بينهما، واختلاف المقصد العام لكل منهما عن الأخرى، وتبقى الموازنة بين الخصائص الأسلوبية للموضوعات المتشابهة في كل سورة، وهذا موطن بحث: «الخصائص الأسلوبية للموضوعات المتشابهة في السور المتباعدة في زمن النزول».






الخاتمة

إنَّ تخصيصَ بعض سور القرآن الكريم للقراءة في أوقات بعينها، وتكرارها مرةً بعد مرةٍ = يتجاوز مجرَّد قراءة حروفها وتردادها على الألسن دون أن تعيَها القلوب؛ فإن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم ليَخرج الناسُ به من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وإنما يُحصِّل المؤمن هذا النور والهُدى بتدبُّر آيات الله ﷻ، والتفكُّر في رسالاتها، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، خاصَّة إذا كانت مما خصَّه النبي ﷺ بالتكرار أو أوصى بذلك، وما كان يقرؤه في مجامع المسلمين.

فهدايات هذه السور التي خُصَّت بالتكرار رسالاتٌ جامعةٌ تضبط مسار الفرد والمجتمع، وتقوِّم سلوكهم، وترسُم للمصلحين والدعاة أُطرًا للإصلاح وتصحيح التصوُّرات لدى الجموع، **فلا يقتصر الانتفاع بهذه الهدايات على الفوائد الجزئية والاستنباطات التفصيلية؛ بل يتجاوز ذلك إلى المنهج العام الذي يُستفاد من القراءة الموضوعية لهذه السور**، والموازنة بين السور المقترنة وموضوعاتها، والطرق المختلفة في معالجة القضايا نفسها في السور المتعددة.

وهذا ما اجتهد هذا البحثُ في وضع لبنة فيه فيما يتعلَّق بالسور التي خُصَّ بها يوم الجمعة، سواء كانت الوصية بقراءتها (سورة الكهف)، أو كان النبي ﷺ يقرؤه على منبره (سورة ق)، أو كان يقرؤه في صلاة الفجر من يوم الجمعة وتتلقاه أفئدة المؤمنين في وقت صفاء أذهانهم ونقاء صفوفهم (سورتا السجدة والإنسان)، أو كان يقرؤه في صلاة الجمعة



مجمع المسلمين الأسبوعي (سورتا الجمعة والمنافقون، وسورتا الأعلى والغاشية).

ليكون يوم الجمعة بما خُصَّ به من سور القرآن محطةَ تجديد وتصحيح وتقويم أسبوعية، توافق عيد المسلمين الأسبوعي الذي خُلق فيه أبوهم آدم، وفيه تقوم ساعتهم.

ومن خلال هذه القراءة المتواضعة لسور يوم الجمعة تبيَّن كيف رسمت منهجًا في أهمِّ ما يصحح تصورات المؤمن من خلال مقاصدها العامة، والتي تبيَّنت من خلال تتبُّع مناسبات مقاطعها، والنظر في أسباب نزول ما ورد فيه سبب نزول منها:

فسورة الكهف تركِّز على قضية الفتن، وسبل النجاة منها، فتستعرض أخطر صور الفتن التي يتعرض لها بنو آدم: فتنة الشباب، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال والاغترار بالدنيا، وفتنة العلم، وفتنة السلطان والمُلك والتسلُّط على رقاب الخلق، وفتنة الأهواء، وفتنة إبليس رأس الفتن، مع ذكر سبل الوقاية من هذه الفتن بتوجيهات مباشرة وغير مباشرة.

وسورة ق تستعرض مشاهد القيامة، مع إثبات براهين البعث بعد الموت، مصحوبًا بمظاهر القدرة والقوة والقهر.

وسورة السجدة تتناول تقرير حقيَّة هذا القرآن العظيم، وتستعرض حال المصدِّقين به والمكذِّبين، وتذكر صفات الفريقين ومآل كل منهما.

وسورة الإنسان تذكِّر الإنسان بأصل نشأته، وتُعلِمه بغاية وجوده، وتبيِّن له الطريقين: طريق النجاة وطريق الهلاك، ومصير السالكين في كل منهما.

وسورة الجمعة تتحدث عن أحكام الجمعة، وتعالج مشكلة وقعت تتعلق بصلاة الجمعة، كان أصلها أخطاء في التصوُّرات عالجتها السورة بإيجاز بديع.

وسورة المنافقون تتناول أعداء الأمة الداخليين بالذكر والتحذير، فتعرِّف بصفاتهم وأقوالهم أفعالهم، وتحذِر المؤمنين من مشابهتهم والاغترار بهم.

وسورة الأعلى تقرِّر قضايا الاعتقاد، وتكشف عن سموِّها وعلوِّها، وعلو من اتصل بها ممن اعتنقها وآمن بها.

وسورة الغاشية تذكِّر بأحوال يوم القيامة، وتذكر أحوال السعداء والأشقياء فيه.

فجمعت سور يوم الجمعة بين تعريف الإنسان بأصل خلقته وغاية وجوده، وبيان المنهج الذي أُمر بالتزامه، وبيان أحوال من التزمه ومن لم يلتزمه، وعلاج الآفات التي تعتريه في طريق تحقيقه؛ الداخلية والخارجية منها، وتذكِّره بدار قراره بين ترغيب في مصير من التزام هذا المنهج، وترهيب من مصير من تنكَّب عنه.

وكذلك فإن الناظر في هذه السور الشريفة يتضح له أن ثمَّة هدايات وتوجيهات يتجلَّى تكرارها في كل هذه السور، على اختلاف طريقة عرض هذه الهدايات، وأسلوب الآيات التي اعتنت بها، كقضايا العقيدة الثلاثة الكبرى، وهي توحيد الله ﷻ، والإيمان بالرسالة، والإيمان بالبعث، وإقامة البراهين على كل منها.

كذلك التعريف بالله ﷻ، وذكر صفاته وتقرير كمال علمه وقدرته وحكمته، وذكر اليوم الآخر ترغيبًا وترهيبًا، والموازنة بين الدنيا والآخرة، والتركيز على عظمة رسالة القرآن وقيمتها والأمر بالتزامها، والتحذير من التنكُّب عنها، والأمر للنبي ﷺ بالتذكير بها، وهو أمر له ولأمته من بعده، وبيان وظيفته ﷺ، وتسليته في تكذيب من كذَّب به وبرسالته.

وكذلك الكشف عن آفات الطريق التي تعوق الإنسان عن الوصول إلى رضوان الله ﷻ في أكثر من سورة، مع معالجتها بأكثر من أسلوب.



وإن كان هذا البحث قد اجتهد في الكشف عن بعض ذلك؛ فإن الباب في هذه السور بالخصوص ما زال مفتوحًا لمزيد تأمل وتفكُّر في غاياتها وقيمة رسالاتها، فضلًا عن غيرها من السور التي خُصِّصت بها أوقات أخرى وورد تكرارها، كما كان يقرؤه النبي ﷺ في بعض الصلوات، وفي بعض الأذكار الموظَّفة كقبل النوم وفي ذكر الصباح والمساء وفي الرقية بالقرآن إلى غير ذلك.

وكل ذلك يحتاج إلى إلمام دقيق بالتفسير التحليلي لهذه المواضع، وحسن استخدام لقواعد التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، مع ربط الواقع بها، ولعله من أسمى أبواب التدبُّر لهذا الكتاب العظيم الذي ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].





الفهارس العامة



1) فهرس الأحاديث.
2) فهرس الأعلام.
3) فهرس المصادر والمراجع.
4) فهرس الموضوعات.



فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة





فهرس الأعلام



المصادر والمراجع

١) الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة - أبو الحسنات اللكنوي - ت. محمد السعيد زغلول - ط. مكتبة الشرق الجديد - بغداد.

٢) أبجديات البحث في العلوم الشرعية - د. فريد الأنصاري - ط. دار السلام - القاهرة.

٣) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ت. محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤) أحكام القرآن - أبو بكر بن العربي - ت. محمد عبد القادر عطا - ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني - ط. المكتب الإسلامي - بيروت.

٦) أسباب النزول - أبو الحسن الواحدي - ت. السيد أحمد صقر - ط. مصطفى البابي الحلبي - مصر.

٧) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - محمد أبو شهبة - ط. مكتبة السنة - القاهرة.

٨) أسماء سور القرآن وفضائلها - د. منيرة محمد ناصر الدوسري - ط. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية.

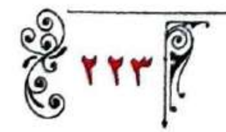
٩) الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن حجر العسقلاني - ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠) الأعلام - خير الدين الزركلي - ط. دار العلم للملايين - بيروت.

١١) البداية والنهاية - إسماعيل بن كثير - ط. دار الريان للتراث - القاهرة.

١٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الشوكاني - ط. مكتية ابن تيمية - القاهرة.

١٣) البيان في عدّ آي القرآن - أبو عمرو الداني - ت. غانم قدوري الحمد - ط. مركز المخطوطات والتراث - الكويت.



١٤) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) - محمد الطاهر ابن عاشور - ط. الدار التونسية للنشر - تونس.

١٥) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين - العراقي وابن السبكي والزبيدي - استخراج: محمود الحداد - ط. دار العاصمة للنشر - الرياض.

١٦) الترغيب والترهيب - أبو القاسم الأصبهاني الملقب بقوام السنة - ت. أيمن بن صالح ابن شعبان - ط. دار الحديث - القاهرة.

١٧) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - زكي الدين المنذري - ت. إبراهيم شمس الدين - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨) تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء ابن كثير - ت. سامي بن محمد سلامة - ط. دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٩) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم - د. مصطفى مسلم وآخرون - ط. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة.

٢٠) تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - ط. دار الفكر - بيروت.

٢١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ت. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق - ط. مؤسسة الرسالة.

٢٢) التيسير بشرح الجامع الصغير - زين الدين المناوي - ط. مكتبة الإمام الشافعي - الرياض.

٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر ابن جرير الطبري - ت. الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - ط. دار هجر للطباعة والنشر.

٢٤) الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله القرطبي - ت. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - ط. دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢٥) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير - إياد القيسي - ط. دار ابن الجوزي - الرياض.

٢٦) جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي - ت. عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي - ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٢٧) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن قيم الجوزية - ط. دار المعرفة - المغرب.

٢٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن - أبو زيد الثعالبي - ت. محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود - ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ط. دار الفكر - بيروت.

٣٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - أبو بكر البيهقي - ت. د. عبد المعطي قلعجي - ط. دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

٣١) ذيل طبقات الحنابلة - ابن رجب الحنبلي - ت. د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة العبيكان - الرياض.

٣٢) الرحلة في طلب الحديث - أبو بكر الخطيب البغدادي - ت. نور الدين عتر - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الآلوسي - ت. علي عبد الباري عطية - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤) زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج بن الجوزي - ت. عبد الرزاق المهدي - ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٣٥) زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية - ت. شعيب الأرناؤوط - ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

٣٦) الزيادة والإحسان في علوم القرآن - محمد بن عقيلة المكي - ت. محمد صفاء حقي وآخرين - ط. مركز تفسير للدراسات القرآنية.

٣٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني - ط. دار المعارف - الرياض.

٣٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة - محمد ناصر الدين الألباني - ط. دار المعارف - الرياض.

٣٩) سنن ابن ماجه - ابن ماجه القزويني - ت. محمد فؤاد عبد الباقي - ط. دار إحياء الكتب العربية - البابي الحلبي.

٤٠) سنن أبي داود - أبو داود السجستاني - ت. محمد محيي الدين عبد الحميد - ط. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤١) سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - ت. بشار عواد معروف - ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت.

٤٢) سنن الدارمي - أبو محمد الدارمي - ت. حسين سليم أسد الداراني - ط. دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية.

٤٣) السنن الكبرى - أبو عبد الرحمن النسائي - ت. حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف: شعيب الأرناؤوط - ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٤) السنن الكبرى - أبو بكر البيهقي - ت. محمد عبد القادر عطا - ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥) سنن النسائي (المجتبى) - أبو عبد الرحمن النسائي - ت. عبد الفتاح أبو غدة - ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

٤٦) سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي - ت. مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤووط - ط. مؤسسة الرسالة.

٤٧) السيرة النبوية - أبو محمد ابن هشام - ت. مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي - ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - عبد الحي بن العماد الحنبلي - ت. محمود الأرناؤوط - ط. ابن كثير - دمشق - بيروت.

٤٩) شعب الإيمان - أبو بكر البيهقي - ت. د. عبد العلي عبد الحميد حامد - ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

٥٠) صحيح ابن حبان - أبو حاتم ابن حبان - ت. شعيب الأرنؤوط - ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥١) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - ت. محمد زهير بن ناصر الناصر - ط. دار طوق النجاة.

٥٢) صحيح الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني - ط. مكتبة المعارف - الرياض.

٥٣) صحيح الجامع الصغير وزياداته - محمد ناصر الدين الألباني - ط. المكتب الإسلامي.



٥٤) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - ت. محمد فؤاد عبد الباقي - ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٥) ضعيف الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - ط. المكتب الإسلامي.

٥٦) طبقات المفسرين - محمد بن علي الداوودي - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٧) طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية - ط. دار السلفية، القاهرة، مصر.

٥٨) عمل اليوم والليلة - أبو عبد الرحمن النسائي - ت. د. فاروق حمادة - ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن حجر العسقلاني - ت. محب الدين الخطيب - ط. دار المعرفة - بيروت.

٦٠) فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - ط. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

٦١) فضائل القرآن - أبو عبد الله محمد بن الضريس البجلي - ت. غزوة بدير - ط. دار الفكر - دمشق.

٦٢) فضائل القرآن - أبو عبيد القاسم بن سلام - ت. مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين - ط. دار ابن كثير (دمشق - بيروت).

٦٣) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة - أبو عبد الله بن الضريس - ت. غزوة بدير - ط. دار الفكر، دمشق - سورية.

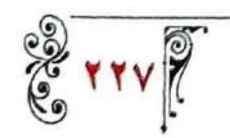
٦٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - محمد بن علي الشوكاني - ت. عبد الرحمن المعلمي اليماني - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥) في ظلال القرآن - سيد قطب - ط. دار الشروق - بيروت - القاهرة.

٦٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير - زين الدين المناوي - ط. المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٦٧) الكاشف عن حقائق السنن «شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح» - شرف الدين الطيبي - ت. المفتي عبد الغفار وآخرون - ط. إدارة القرآن - العلوم الإسلامية - باكستان.

٦٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم الزمخشري - ط. دار الكتاب العربي - بيروت.



٦٩) كشف الأستار عن زوائد البزار - نور الدين الهيثمي - ت. حبيب الرحمن الأعظمي - ط. الرسالة - بيروت.

٧٠) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - جلال الدين السيوطي - ت. أبو عبد الرحمن صلاح عويضة - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٧١) لباب التأويل في معاني التنزيل - أبو الحسن الخازن - ت. محمد علي شاهين - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٢) اللمعة في خصائص الجمعة - جلال الدين السيوطي - ط. دار الكتب العلمية.

٧٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل - أبو البركات النسفي - ت. يوسف علي بديوي - ط. دار الكلم الطيب - بيروت.

٧٤) المجالسة وجواهر العلم - أبو بكر الدينوري المالكي - ت. مشهور بن حسن آل سلمان - ط. دار ابن حزم - بيروت.

٧٥) مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الطبرسي - ط. دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت.

٧٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو الحسن الهيثمي - ت. حسام الدين القدسي - ط. مكتبة القدسي - القاهرة.

٧٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد ابن عطية الأندلسي - ت. الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق العناني - ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر.

٧٨) المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة - د. خالد بن سليمان المزيني - دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية.

٧٩) المجالسة وجواهر العلم - أبو بكر الدينوري المالكي - ت. مشهور بن حسن آل سلمان - ط. جمعية التربية الإسلامية - البحرين، دار ابن حزم - بيروت - لبنان.

٨٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو الحسن الهيثمي - ت. حسام الدين القدسي - ط. مكتبة القدسي، القاهرة.

٨١) مجموع الفتاوى - أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - ط. مجمع الملك فهد - السعودية.

٨٢) المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - ت. مصطفى عبد القادر عطا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٣) مسند أحمد - الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - ت. شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون - ط. مؤسسة الرسالة.

٨٤) مشكاة المصابيح - ولي الدين التبريزي - ت. محمد ناصر الدين الألباني - ط. المكتب الإسلامي - بيروت.

٨٥) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور - برهان الدين البقاعي - ط. مكتبة المعارف - الرياض.

٨٦) مصنف ابن أبي شيبة - أبو بكر بن أبي شيبة - ت. كمال يوسف الحوت - ط. مكتبة الرشد - الرياض.

٨٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن - أبو محمد البغوي - ت. محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش - ط. دار طيبة للنشر والتوزيع.

٨٨) المعجم الأوسط - أبو القاسم الطبراني - ت. طارق عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - ط. دار الحرمين - القاهرة.

٨٩) معجم السفر - أبو الطاهر السِّلَفي - ت. عبد الله عمر البارودي - ط. المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

٩٠) معجم علوم القرآن - إبراهيم محمد الجرمي - ط. دار القلم - دمشق.

٩١) المعجم الكبير - أبو القاسم الطبراني - ت. حمدي بن عبد المجيد السلفي - ط. مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٩٢) مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ابن قيم الجوزية - ت. عبد الفتاح أبو غدة - ط. مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب.

٩٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٥) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - د. محمد رزق طرهوني - ط. دار ابن القيم.

٩٦) الناسخ والمنسوخ - أبو جعفر النحَّاس - ت. د. محمد عبد السلام محمد - ط. مكتبة الفلاح - الكويت.

٩٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين البقاعي - ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩٨) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ت. طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي - ط. المكتبة العلمية - بيروت.





فهرس الموضوعات



